بلاغة الترتيب فيما تشابه من آيات القرآن الكريم في الصفات الخبرية "الآيات التي ذكر فيها الوجه نموذجا"

إعداد

د/أحمد عوض عبد العزيز قطب

جامعة الأزهر، المدرس في كلية اللغة العربية بأسيوط

ملخص البحث باللغة العربية

بلاغة الترتيب فيما تشابه من آيات القرآن الكريم في الصفات الخبرية "الآيات التي ذكر فيه الوجه نموذجا"

أحمد عوض عبد العزيز قطب
قسم البلاغة والنقد –جامعة الأزهر، المدرس بكلية اللغة العربية بأسيوط
البريد الإلكترونى:ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

الملخص:

يقوم البحث على بيان بلاغة الترتيب بين آيات القرآن الكريم، والتي وقع فيها التشابه في النظم، خاصة الآيات التي كانت موضع خلاف بين العلماء، فيما يعدونه من آيات الصفات الخبرية المتعلقة بذات الله – سبحانه وتعالى – ، وذلك في الآيات التي ذكر فيها لفظ "الوجه" نموذجا ، وذلك قائم على العلاقة بين هذه الآيات على المستويين الأفقي – السياق القريب للآيات – والمستوى الرأسي – السياق البعيد للآية – فعلاقة الآية بما يسبقها، وما يلحقها من آيات يحدد هذه العلاقة وبلاغتها، وقد تنوعت هذه العلاقات بين الآيات موضوع البحث بين السببية، والترقي، والعموم والخصوص، وتنامي المعاني وتكاملها؛ وعلي ذلك يعالج البحث جانبا من تفسير هذه الصفات وفقا لمراد النظم القرآني، والمعنى المراد والأغراض المؤمة التي يكتنفها السياق البعيد والقريب بنوعيه المقامي واللغوي، مراعيا علاقة هذه الآيات ببعضها تبعا لموقعها في السياق القرآني تبعا لترتيب التلاوة للقرآن الكريم، وذلك بعد التمهيد لذلك عن طريق بيان بعض من وجوه الترتيب في القرآن الكريم، وبيان معاني الصفات الخبرية بين المذهبية العقدية والسياق القرآني.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، الترتيب، تشابه،آيات القرآن، الصفات، الخبرية، الوجه.

The eloquence of the arrangement in the similarity of the verses of the Holy Qur'an in the descriptive qualities

Verses in which the face is mentioned as a model

Ahmed Awad Abdel Aziz Qutb

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language in Assiut, Al-Azhar University, Assiut, Egypt.

Emai : ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

Abstract:

The research is based on the statement of the eloquence of the arrangement between the verses of the Holy Qur'an, in which the similarity occurred in the systems, especially the verses that were the subject of disagreement between scholars, in what they prepare as verses of the declarative attributes related to the essence of God - Glory be to Him - in the verses in which the word "face" is mentioned. This is based on the relationship between these verses on the horizontal level - the close context of the verses - and the vertical level - the distant context of the verse - because the verse is related to what precedes it, , and the verses that follow it determine this relationship and its rhetoric, and these relationships varied between the verses in question between causation, promotion, generality and specificity, and the growth and integration of meanings; Accordingly, the research deals with an aspect of the interpretation of these qualities according to the intent of the Qur'anic systems, the intended meaning and the fulfilling purposes that are surrounded by the distant and proximate context of both its linguistic

Keywords: Ehetoric, Arrangement, Aimilarity, Verses of the Qur'an, adjectives, predicate, Face

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المستحق لصفات الجلال والكمال، المنزه عن الشبيه والمثال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ المبلغ عن رب العالمين؛ فنصح الأمة وكشف الله به الغمة؛ فتركها على المحجة البيضاء .....؛ وبعد.

فإنه مما يدعو للنظر والتأمل، ويستجلب التفكر والتدبر تشابه بعض آيات القرآن الكريم في نظمها جزءا أو كلا، ولكل آية في موضعها حكمة جليلة تتعلق بالنظم الشريف، ومن هذه الآيات المتشابهة: ما عده علماء الكلام من آيات الصفات الخبرية المتعلقة بصفات البارئ – سبحانه وتعالى – ففسرها كل فريق على حسب مذهبه ومعتقده، ولهم في تفسيرها في بعض مواضعها من الكتاب العزيز تفسيرات مختلفة عن تلك المذاهب، وكانت لهذه الآيات فيما يتصل بها من تشابه بلاغة خاصة تتعلق بترتيبها في القرآن الكريم، سواء ترتيبها على حسب مستواها الأفقي، مع ما يسبقها أو يلحقها من آيات، وذلك باعتبار السياق القريب؛ أو ترتيبها على حسب مستواها الرأسي مع ما يسبقها أو يلحقها من متشابه لها في القرآن الكريم كله ؛ فعلى اعتبار الترتيبين كانت مهمة هذا البحث في تجلية بعض بلاغة النظم الشريف على قدر المنة ومبلغ العلم؛ فجاء هذا البحث الموسوم بـ "بلاغة الترتيب فيما تشابه من آيات القرآن الكريم في الصفات الخبرية "الآيات التي ذكر فيه الوجه نموذجا""؛ لينظر: هل لبلاغة الترتيب علاقة خاصة مطرده فيما تشابه من آياته؟ وهل تختلف تلك العلاقة لاعتبار الترتيبين؟ وهل لهذا الترتيب مدخل في تفسير معاني الصفات الخبرية؟؛ فجاء البحث مرتبا على

وفق ترتيب الآيات محل الدراسة في المصحف باعتبار هذه العلاقات مسبوق بمقدمة وتمهيد ومتلوٍ بخاتمة وفهرس لمصادر البحث ومراجعه؛ وذلك على النحو التالي:

مقدمة: وفيها بواعث الموضوع وتساؤلاته، وخطته.

تمهيد: وفيه: أولا: بلاغة الترتيب في القرآن الكريم؛ ثانيا: الصفات الخبرية.

علاقات ترتيب الآيات الكريمة التي ذكر فيها "الوجه" وبلاغتها:

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة السببية.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الترقي.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة تنامي المعاني وتكاملها.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الترقي.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الترقي.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة التعليل.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة السببية.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة العموم.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الخصوص.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة خصوص الخصوص.

الخاتمة: وفيها بعض نتائج البحث.

فهرس مصادر ومراجع البحث.

أولاً: بلاغة الترتيب في القرآن الكريم.

لترتيب آي القرآن الكريم، وسوره بلاغة خاصة؛ فجاء ترتيب المصحف الشريف من الفاتحة إلى الناس على خلاف ترتيب تنزله، لأنه "قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل"(١) وهذا يدل بالضرورة على أنه " ليس ترتيب المصحف على ترتيب التنزيل، وإنما ترتيب التلاوة هو ترتيب الرسول ﷺ"(٢) وما هذا الترتيب إلا وحيا من الله، فكان هذا الترتيب لحكمة جعلها الله – سبحانه وتعالى – في كتابه العظيم؛ فليس هذا الترتيب اجتهادا من الصحابة رضوان الله عليهم وقت جمع القرآن في مصحف واحد، "وإنما ترتيب التلاوة في المصاحف هو ترتيب جبريل بأمر الله تعالى"(٣)

فجعلت الفاتحة في أول المصحف الشريف إجمالا لما ورد في القرآن الكريم من معان، فحملت على قلة آياتها على معاني الهدي والعلم، ما جاء في القرآن كله، فسميت أم القرآن، كما وصفها بذلك المعصوم ﷺ(٤) وذلك

---

١ – تفسير الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ (١/٢٨٩) .

٢ – حاشية الطيبي على الكشاف لشرف الدين الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ) – مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج – القسم الدراسي: د. جميل بني عطا – المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء – الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم (٣/ ٤٥٠).

٣ – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (٦/ ٤٦٨).

٤ – جاء هذا الوصف في كلام النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله – ﷺ–: «ما أَنْزل الله في التوراة والإنجيل مِثْلُ أُمِّ القرآن، وهي السبعُ المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل» كذلك ما أخرجه أبوداود

"لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهى، ومن الوعد والوعيد"(١) فجمع سبحانه في هذه السبع المثاني نبأه العظيم كله، كما قال أبو الحسن الحرالي: "اعلم أن الله سبحانه جمع نبأه العظيم كله عن شأنه العظيم جمعا في السبع المثاني، أم القرآن، وأم الكتاب"(٢) فإذا كانت فاتحة الكتاب جامعة لمعاني القرآن الكريم، فالقرآن الكريم بمثابة التفصيل لهذه المعاني، بسط وبيان كما قال البقاعي في سبب تسمية الفاتحة بأم القرآن: "لاشتمالها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والأحكام العملية فهي أم القرآن لأنها له عنوان وهو كله لما تضمنته على قصرها بسط وتبيان"(٣)؛ فارتبطت فاتحة الكتاب بالقرآن ارتباط الإجمال بالتفصيل.

وجريان هذه القاعدة على الكلام العالي حاصل متأصل، وإن كان يفتقد إلى مزيد تأمل وتدبر، وقد أثبتها العلماء على القرآن الكريم؛ فقال البقاعي –

والترمذي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله – ﷺ –: « {الحمد لله رب العالمين} أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبعُ المثاني» جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (ت : ٦٠٦هـ) – تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط – التتمة/ تحقيق: بشير عيون – الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان – الطبعة : الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢م (٨/ ٤٦٨ وما بعدها).

١ – الكشاف (١/١).

٢ – تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (ت: ٦٣٨هـ) – تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان – الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط – الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م ص ٥٠.

٣ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت: ٨٨٥هـ) – الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: بدون (٤٧/١).

رحمه الله – بعد ذكره أن لكل آية ظهرا وباطنا، وما على الخلق من التزام ذلك في ابتداء أقوالهم وأفعالهم: " وأشد منه أنه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة من القرآن صدرت بها الفاتحة كما صدر القرآن بالفاتحة، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده، وذلك هو إجمال لتفصيل الفاتحة كما أن الفاتحة إجمال تفصيل القرآن من الأصول والفروع والمعارف واللطائف، ولما كان اسم الجلالة علما، كان جامعا لجميع معاني الأسماء الحسنى أولية"(١)؛ فعلى ذلك يمكن القول إن آيات متشابه القرآن حسب ترتيب المصحف الشريف تتصل بهذه العلاقة فيما بينها من الإجمال والتفصيل؛ فكل آية جاءت بعد الآية الأولى جاءت لتفصل وجها من وجوه معانيها التي أجملته في تلك الآية – والله أعلم – وهذا التفصيل له وجوه ارتباط بهذا الإجمال سببا، أو تعليلا، أو ترقيا ... أو غيرها من العلاقات.

فإن تشابه بعض آيات القرآن الكريم لا يعني بالضرورة تشابه معانيها المرادة منها؛ إذ تختلف سياقاتها وأحوالها، وسياق من نزلت فيهم وأحولهم؛ فهي بالضرورة ذات معان جديدة، كذلك هذه الآيات لها مع ما تشابه معها بلاغة خاصة تتصل بترتيب هذه الآيات المتشابهة داخل المصحف الشريف؛ وذلك لكون القرآن كالكلمة الواحدة: يسير المعنى القرآني فيه بشكل دائري من الفاتحة إلى الناس على وجه من التصريف والتكامل بديع؛ فعلى ذلك تتصل الآية المتشابهة مع سابقتها بوجه من هذا التصريف سببا، أو علة، أو تناميا، أو تعميما، أو تخصيصا ...الخ من هذه العلاقات التي تحكم ترتيب هذه الآيات.

---

١ – نظم الدرر (٢٥/١).

ثانيا: الصفات الخبرية بين المذهبية ومعناها السياقي.

الصفات الخبرية هي كل ما صح وصفا للمولى – سبحانه وتعالى – من الصفات التي جاء بها الخبر من كتاب أو سنة(١)، وقد اختلفت الآراء والأقوال في هذه الصفات تبعا لاختلاف المذاهب في علم الكلام، والمجال هنا لا يتسع لبيان ذلك، والذي يعنى به البحث في هذا الموضع هو بيان من يعتد بهم من أهل الرأي والحديث ممن تكلموا في هذه الصفات؛ والكل متفقون على كمال الله ﷻ ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته سبحانه، وإثبات ما أثبته لنفسه – سبحانه – ونفى ما نفاه عن نفسه ﷻ ؛ فسبحانه "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ""(٢) وبعيدا عن أصحاب الشطط والمغالاة، تمحورت آراء أصحاب الرأي والحديث على ثلاثة مذاهب: الإثبات، والتأويل، والتفويض(٣)، فالمثبتون يخشون تعطيل هذه الصفات في حق الله ﷻ ، وأصحاب التأويل يخشون الوقوع في التجسيم والتشبيه في حق الله ﷻ ، وأهل التفويض خرجوا من الأمر كلية، وفوضوا علمها إلى الله – سبحانه وتعالى – واستشهدوا بقوله: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ""(٤).

---

١ – شرح العقيدة الواسطية للهراس (ت: ١٣٩٥هـ) – ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف – الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر – الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ (١/١٥٩).

٢ – سورة: الشورى آية: ١١.

٣ – ينظر: الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة لمحمد عياش الكبيسي – الناشر: المكتب المصري الحديث، القاهرة – الطبعة: الأولى: بدون ص ٨٤.

٤ – سورة: آل عمران بعض آية: ٧.

وبالرغم من تحديد كل فريق وجهته ومذهبه في هذه الصفات، إلا أنهم عند التعرض لتفسير بعض آيات الصفات يتبخر مذهبهم، فالمثبتون قد يجنحون إلى التأويل كما في تفسير قوله: "فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ"" قالوا فثم الله، أو فثم رضا الله، أو القبلة، أو التوجه والقصد(١)؛ وهذا يدخل في باب التأويل، وأهل التأويل من الأشاعرة يوافقون المثبتين في كل ما ذهبوا إليه؛ فبعد ذكر مقالتهم جميعا قالوا: " وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير"(٢)، أما أهل التفويض الذي سكتوا عن الكلام في هذه الصفات قد يميلوا إلى التأويل في بعض الصفات عند تعرضهم لتفسير بعض هذه الآيات كما ذكر ابن جرير الطبري في قوله تعالى: " فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ"(٣).

ويرجع السبب في مخالفة أصحاب المذاهب الثلاثة لما اصطلحوا عليه، وانتموا إليه من مذاهبهم إلى أمرين – والله أعلم – :.

الأول: اتفاقهم جميعا على تنزيه المولى – سبحانه – عن الحوادث، وإثبات

---

١ – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (٢/٤٨٠ وما بعدها)، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد بن عبدالرحمن المغراوي –الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، دار القرآن جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة ص ٥٣٦، والصفات الخبرية ص٧٤.

٢ – مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) – تحقيق: نعيم زرزور – الناشر: المكتبة العصرية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م (١/٢٢٩).

٣ – جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م (٢/٥٣٦).

صفات الجلال والكمال له كما يليق بذاته.

الثاني: اعتمادهم عند تفسير الآيات على لسان العرب ولغتهم، والمعنى المراد من السياق بأنواعه؛ لأن كل ما يخالف هذا المعنى المراد غير مراد.

علاقات ترتيب الآيات الكريمة التي ذكر فيها "الوجه" وبلاغتها:

ورد ذكر الوجه مضافا إلى المولى – سبحانه وتعالى – في عدة مواضع من القرآن الكريم وهي على وجه الحصر في أحد عشر موضعا؛ وإذا كان الجانب الرئيس للبحث منصبا على بلاغة ترتيب الآيات الكريمة يلزم من ذلك تناول هذه الآيات وفق الترتيبين: الترتيب الرأسي الذي يسلك ضرب بيان وجه البلاغة في علاقة الآية الكريمة محل الدراسة بما قبلها من الآيات المتشابهة معها؛ والترتيب الأفقي: والذي يضبط علاقة الآية الكريمة بما قبلها في سياقها القريب من السورة.

وقد جاءت الآيات الكريمة مرتبة حسب ورودها في المصحف الشريف من الفاتحة إلى الناس كالآتي:

الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢)

---

١ – سورة البقرة: آية: ١١٥.

٢ – نفس السورة: آية: ٢٧٢.

الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

الموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٢)

الموضع الخامس في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٣)

الموضع السادس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤)

الموضع السابع في قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥)

الموضع الثامن في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (٦)

---

١ – سورة الأنعام: آية: ٥٢.
٢ – سورة الرعد: آية: ٢٢.
٣ – سورة الكهف: آية: ٢٨.
٤ – سورة القصص: آية: ٨٨.
٥ – سورة الروم: آية: ٣٨.
٦ – نفس السورة: آية: ٣٩.

الموضع التاسع في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (١)

الموضع العاشر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

الموضع الحادي عشر في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (٢)

يشترك السياق العام لهذه المواضع في كونها مبنية على المقابلة بين معاني الحق والباطل وموقع ذلك مع سعة علم الله، وما يتعلق بذلك العلم من توجيه المولى – سبحانه وتعالى – لعبادة إلى ما يرشدهم إلى طريق الصلاح، ونصرته ﷻ للحق وأهله وفضحه للباطل وأهله؛ كذلك تشترك في معناها الرئيس في كون مدار الأمر على إخلاص العمل لله – عمل القلب والجوارح – ومتى ارتبط العمل بالإخلاص كان القبول من الله ﷻ ومتى كان القبول كانت النصرة والفوز، وسيظهر ذلك عند التعرض للمواضع بالتفصيل.

أما بلاغة الترتيب فتختلف باختلاف علاقة هذه الآيات الكريمة بين بعضها البعض في بيان إثبات معاني الحق والهدى في مقابل الباطل والضلال، مع بيان استدعاء معاني الحق والهدى مع ضرورة الإخلاص في توجيه الأعمال، كذلك التنبيه على كون منافاة هذا الإخلاص يستلزم الضلال عن طريق الحق والميل إلى الباطل وأهله.

فإذا كانت معاني القرآن الكريم كله ترتبط بمعاني فاتحة الكتاب على الإجمال والتفصيل – وذلك لاتفاق جل علماء التفسير على كون فاتحة الكتاب بمثابة إجمال لما جاء في كتاب الله من معاني الهدى والعلم، فهي أم القرآن

---

١ – سورة الرحمن: آية: ٢٧.

٢ – سورة الليل: آية: ٢٠.

كما وصفها بذلك المعصوم ﷺ(١)، – فكان من لازم كونها أم القرآن اتصال القرآن الكريم بها اتصال التفصيل بالإجمال؛ وذلك يشركها على وجه من التشابه بين معانيها ومعاني القرآن الكريم كله؛ فكان مكانها في المصحف مؤذن بإيضاح وجه من وجوه ترتيب السور داخل المصحف الشريف كذلك ترتيب الآيات التي تقع على وجه من التشابه – والله أعلم – الذي جاء بعضه على ذلك الوجه من الترتيب؛ فإذا كانت معاني القرآن الكريم كله تقع على وجه من التشابه بين معاني فاتحة الكتاب إذ كان القرآن الكريم مفصلا لهذه المعاني التي جاءت في الفاتحة =فيتوصل من ذلك إلى كون الآيات التي بها وجه من التشابه تتعلق تاليتها بسابقتها على ضرب من علاقة معنويه على وجه من وجوه الترتيب القائم على التصريف البياني لمعاني القرآن الكريم.

وبالنظر في الآيات الكريمة موضوع البحث، والتي كان وجه التشابه فيها ذكر الوجه مضافا إلى المولى ﷻ، لا نعدم هذه العلاقات في الترتيب

---

١ – جاء هذا الوصف في كلام النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله – ﷺ–: «ما أَنْزل الله في التوراة والإنجيل مِثْلُ أُمِّ القرآن، وهي السبعُ المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل» كذلك ما أخرجه أبوداود= =والترمذي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله – ﷺ–: « {الحمد لله رب العالمين} أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبعُ المثاني» جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (ت : ٦٠٦هـ) – تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة/ تحقيق: بشير عيون – الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان – الطبعة : الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢م (٨/ ٤٦٨ وما بعدها).

بين هذه الآيات، والتي تدل على تكامل البيان القرآني فيما تشابه من آياته على وجه من التصريف البياني لمعاني القرآن الكريم، أما فيما بين الآيات موضع الدراسة فقد تختلف العلاقة في ترتيب هذه الآيات الكريمة تبعا لترابط هذه الآيات ببعضها على المستوى الرأسي للقرآن الكريم، كذلك على المستوى الأفقي في وجه ارتباط الآية بسابقتها؛ فكما يمثل – على اعتبار المستوى الرأسي – موضع الإجمال فيها الموضع الأول في سورة البقرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

وأول وجه من وجوه الإجمال يتمثل في البناء التركيبي في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ والذي جاء لفظ "الوجه" فيها مسندا إليه بخلاف باقي المواضع والتي جاء فيها لفظ الوجه من مكملات الجملة تبعا لجملة الإسناد باعتباره من متعلقات الفعل، أو بدل، وذلك باستثناء موضع سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ والذي جاء فيه لفظ الوجه مسندا إليه أيضا ولكن هنا جاء فاعلا مبنيا على فعل في قوله "وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ " أما في الموضع الأول فالجملة اسمية مبنية على ظرف مسند مقدم، فيأتي وجه الإجمال في الأولى لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام بخلاف الفعلية التي فيها معنى التجدد والحدوث وقد نص الإمام عبدالقاهر على ذلك في دلائله عندما تحدث عن الفرق بين الجملة المبنية على الاسم والجملة المبنية على الفعل ، وذلك في قوله: "وإذْ قد عرَفْتَ هذا الفرْقَ، فالذي يَليه من فُروق الخَبَر، وهو الفرْقُ بينَ الإثباتِ إذا كان بالاسم، وبيْنَه إذا كانَ بالفعلِ. وهو فرقٌ لطيفٌ تَمسُّ الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانُه، أنَّ موضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشيءِ من

غيرِ أن يَقتَضي تجدُّده شيئاً بعْدَ شيء وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تَجدُّدَ المعنى المُثْبَت به شيئاً بعْدَ شيء "(١)، ولهذا فرقوا بين قوله: "الذين آمنو" وقوله: "المؤمنون"، وقوله: الذين ينفقون" وقوله: "المنفقون"(٢)؛ فالفعل يطرأ عليه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، بخلاف الاسم الذي يدل على الاستقرار؛ فكانت الاسمية على هذا المعني فيها وجه من العموم والإجمال من الفعلية، كذلك الجملة الاسمية في قوله: "فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ" واقعة في محل جزم جواب الشرط(٣) أي لها محل من الإعراب، وذلك بخلاف موضع سورة الرحمن في قوله: " وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ " التي ليس لها محل من الإعراب لكونها معطوفة على جملة مستأنفة(٤)، وذلك على تقدير كون هذه الجمل التي لها محل من الإعراب واقعة موقع المفرد، ودلالة المفرد فيها من العموم والإجمال ما ليس في الجملة التي يزداد المعنى فيه تخصيصا

---

١ – دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) – تحقيق: محمود محمد شاكر – الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م (١/ ١٧٤).

٢ – ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي – تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم – الناشر: دار التراث، القاهرة – الطبعة: بدون (٦٦/٤ وما بعدها)، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) – تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي – الناشر: دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثالثة(١٣٣/٢)، والجملة العربية تأليفها وأقسامها للدكتور/ فاضل صالح السمرائي – الناشر: دار الفكر: عمان، الأردن – الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م ص ١٦٦ وما بعدها.

٣ – عراب القرآن الكريم للدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم – الناشر: دار المنير، ودار الفارابي، دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ (٥٠/١).

٤ – الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ) –الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت – الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ (٩٤/٢٧).

وتفصيلا بقدر ما فيها من قيود إلى جانب الإسناد، وعلى ذلك المعنى كان تكامل البيان في معاني النظم القرآني بين هذه المعاني، هذا التكامل الذي بني عليه بلاغة ترتيبها – والله أعلم – خاصة لاشتراك هذه المواضع في المعنى الجامع لها، فأبان بداية على الجهة التي يتوجه إليها الإخلاص في كل عمل أريد به الله فكان مدار ذلك على: أينما قصد العبد ربه كانت هذه هي الجهة التي فيها الإخلاص؛ وهذا المعنى متعلق بمقصود لفظ: "الوجه" في إضافته إلى المولى – سبحانه وتعالى – وهذا المعنى مداره ومرده إلى الإخلاص في العمل في كونه متوجها إلى الله ﷻ لا يشوبه شيء من رياء أو شرك، وهذا المعنى نقله الأصفهاني في غريب القرآن في قوله: "عبر عن الذات بالوجه في قول الله: : "وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ " قيل: ذاته وقيل: أراد بالوجه هاهنا التوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، وقال: فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ "، "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ"، "يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ"، "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ " (١)؛.

أما من جهة المستوى الأفقي في وجه علاقة الآية بما يسبقها فهذا يحكم فيه السياق الخاص بكل موضع، وإن كان السياق العام لجميع المواضع يقوم على المقابلة كما ذكر الباحث آنفا: أنه مبني على المقابلة بين معاني الحق والباطل وموقع ذلك مع سعة علم الله، وما يتعلق بذلك العلم من توجيه

---

١ – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) – تحقيق: صفوان عدنان الداودي – الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ ص٨٥٦

المولى ﷻ لعباده إلى ما يرشدهم إلى طريق الصلاح، ونصرته ﷻ للحق وأهله وفضحه للباطل وأهله.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة السببية:

ففي الموضع الأول في قوله تعالى: " "وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ " "، يقوم السياق العام على المقابلة القائمة بين الحق المتمثل بداية في تقرير سعة علم الله ﷻ وجلالة قدرته في كونه يأتي بما هو خير لعباده إذا نسخ بعض آياته أو أنساها وذلك واضح في قوله تعالى: "مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ " حيث ختمها بهذا التقرير في قوله: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ" ثم اتصل هذا التقرير بتشابه أطرافه في قوله: " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ؛ فكان هذا الخير المراد من الله المقترن بسعة علمه هو الحق، وذلك في مقابلة الباطل المتمثل فيما يوده أهل الكتاب لعباد الله المؤمنين، إما من حجب كل خير ينزل عليهم، وذلك في قوله: "مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ "وإما رجوعهم كفارا مرة أخرى بعد هذا الإيمان وذلك الخير الذي حسدهم عليه أهل الكتاب، وذلك في قوله: "" وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ".

كذلك الباطل المتمثل في جهل أهل الكتاب إما في كذبهم لكونهم قالوا بالنفي على التأبيد أنه لن يدخل الجنة سواهم، وذلك في قوله: " وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ

ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ "، وإما في صدقهم في نفيهم كون إخوانهم من أهل الكتاب على شيء من الحق، وذلك في قوله: "وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ " فجاء التشبيه الذي يصور كون هذا الجهل هو الذي حاق بأهل الباطل جميعا، وذلك في قوله: كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ " فتشبيه أقوال أهل الكتاب بقول من نفى الله عنهم العلم على العموم، وجمعهم معهم في هذه الصفة دليل جهل أهل الكتاب بما في أيديهم من الهدى والعلم؛ لمخالفتهم ما في كتابهم فسوّاهم الله بمن عدموا العلم أصلا، وما تشابه قولهم إلا لتشابه قلوبهم التي غفلت عن إدراك هذا العلم، وتدبره والتفكر فيه، والعمل به؛ فيكون لهم حرزا من التقول على الله، والكذب عليه؛ فهذه القلوب هي محل اليقين الناتج عن العلم بآيات الله، وهذا بيّن في قوله: : "وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ "..

فكان هذا الجهل المطبق هو الباطل الذي قوبل بسعة علم الله ﷻ الأزلي الأبدي، وسعة علمه على قدر سعة سلطانه، وقدرته، وإحاطته بكل شيء؛ فما من عمل إلا وهو مصروف إليه فسبحانه إليه يرجع الأمر كله؛ ويتوقف قبول الله ﷻ له على قدر إخلاص العبد في هذا العمل عندما يوجهه إلى المولى ﷻ وعلى هذا المعنى تحققت علاقة السببية في السياق الخاص في الموضع الأول؛ فلما قصر كون الجهات كلها لله قصرا حقيقيا عن طريق التقديم وذلك في قوله: " وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ "تسبب عن ذلك تساوي جميع الجهات في توجيه العبد عمله إلى الله "إعلاما بأن الوجهة لوجهه لا للجهة،

من حيث إن الجهة له"(١)، وهذا ما أفادته الفاء العاطفة في قوله: "فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ " وهذا المعنى على العموم في كل الأعمال ولا يمنع ذلك من إرادة ما ذكر من وجوه التفسير في الآية الكريمة: من كونها نزلت في وقت التخيير قبل الأمر بتحويل القبلة، أو كون المقصود التوجه في صلاة النافلة على الراحلة، أو كون المراد مرضاة الله، واستجابته لكل عمل وجه إليه(٢)؛ فكل هذه المعاني لا تتعارض في كون العبد أينما أراد وجه الله بعمله – مهما اختلفت الجهة – يكون القبول، ويستثنى من ذلك صلاة الفريضة؛ لكونها متعلقة بشرط صحة وهو استقبال القبلة، والذي سوغ للباحث اختيار هذا المعنى هو السياق، فالآية الكريمة ليست في شأن القبلة، وإنما هي في شأن كل عمل، كذلك قبول العمل ليس مشروطا بكونه في المسجد فقط، بل في إخلاصه لوجه الله، فالآية السابقة لهذا الموضع " " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " " هي التي تسبب عنها الرد في هذا الموضع، فكانت علاقة السببية هي الحاكمة على بلاغة الترتيب في هذا الموضع على المستوى الأفقي للآية، كذلك كان ترتيب هذا الموضع مع الموضع التالي قائما على علاقة الترقي، والذي يدل على زيادة في معنى

---

١ – تراث أبي الحسن الرالي ص ٢٥٥.

٢ – ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ت: ٣٣٨هـ) – تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد – الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ص ٧٦ وما بعدها، أحكام القرآن للجصاص (ت: ٣٧٠هـ) – تحقيق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥ هـ (١/٧٧ وما بعدها).

السببية، وذلك على المستوى الرأسي للآيتين.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الترقي:

وذلك في الموضع الثاني في قوله: " لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ " والتي بنيت على أسلوب القصر للتأكيد على المعنى المراد وهذا الطريق خاصة يساق للرد على إنكار حاصل، فهو أقوى في الدلالة على التأكيد والتحقيق والتقرير فأفاد ترقيا في الدلالة من هذه الجهة بخلاف الموضع الأول في قوله: " وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ " والذي جاء فيه القصر تمهيدا لذكر الصفة الخبرية، كذلك كان القصر بالفحوى عن طريق التقديم؛ وهذا وجه من الترقي عن طريق البنية التركيبية.

ففي الموضع الثاني جاء القصر عن طريق النفي والإثبات ففيه مزيد تفصيل في المعنى لما له من دلالة زيادة التأكيد عليه، كذلك الرد على إنكار حصل في سياق الكلام؛ لكون السياق العام مبني على المقابلة بين موعود الشيطان وموعود الرحمن، وذلك في قوله تعالى: " ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ "وختم الآية الكريمة بما يدل على سعة علم الله ﷻ فيه دليل على الجهل المطبق لدى من يتبع الشيطان في هذه المقابلة بين الحق والباطل؛ فشتان بين وعد الله المبني على سعة علمه، وبين وعد الشيطان لهم.

أما الإنكار فمستفاد من اعتقاد من يتبع الشيطان حال امتناعهم عن النفقة حصول الغنى لهم، وأنه مع النفقة فقر وضياع للمال، حيث يتيمم الخبيث من ماله حال إنفاقه، وما لا نفع فيه، وما لا يخشى على ماله منه حال ضياعه

بالنفقة، حتى إنه إذا عرض عليه هذا الخبيث الذي أنفقه لا يأخذه وهذا ما أفاده السياق القبلي في قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ".

كذلك من دواعي رد الانكار اعتقاد عدم حصول الأجر والثواب لهم في نفقتهم على أقربائهم من الكفار والمشركين، وذلك كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما في سبب نزول الآية: "كانوا يَكرَهُونَ أن يَرْضَخُوا لأنسبائهم من المشركين، فنزلت هذه الآية: " لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" "(١)، وذلك على المستوى الأفقي لهذا الموضع، حيث علاقة التأكيد هي الرابطة لهذه المعاني.

فجاء أسلوب القصر للتأكيد على حصول الأجر لكون نفقة المؤمنين لا تكون إلا خالصة لوجه الله، وعلى ذلك المعنى كان فضل أهل الحق من المؤمنين على غيرهم في النفقة فهي "شهادة من الله تعالى للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله، فهو خبر منه لهم فيه تفضيل"(٢)، وذلك لكون نفقتهم خالصة لوجه الله، وذلك لسبق علمهم عن الله

---

١ – سلسلة الآثار الصحيحة لأبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي – راجعه: عبد الله بن صالح العبيلان – الناشر: دار الفاروق – الطبعة: الأولى (جـ ١: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، جـ ٢: ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م) (١/١٧٩).

٢ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) – تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ (١/٣٦٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ) – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٢/٣٣٩).

في ذلك فتوجهت نياتهم على هذا الإخلاص سابقا؛ فكل ما يأتي من النفقة بعد ذلك فهي مقصورة على كونها ابتغاء وجه الله دون غيره قصرا حقيقيا، ولو كانت هذه النفقة على أقربائهم من المشركين، حتى ينسحب كل ذلك على جميع أعمالهم في الطاعات، فاستحقوا هذه الشهادة من الله تفضيلا وإكراما.

فكان ذلك بعضا من الترقي من بلاغة الترتيب في معنى توجيه العمل إلى الله، لأن من فوارق البنية في إضافة الوجه إلى الله هو قصر الفعل على الله دون غيره، فكانت الآية فيها مزيد تأكيد على تأكيد إفادة القصر من جهتين: جهة النفي والإثبات، وفي إضافة الوجه إلى الله، وذلك "أنك إذا قلت: فعلت هذا الفعل له فههنا يحتمل أن يقال: فعلته له ولغيره أيضا، أما إذا قلت فعلت هذا الفعل لوجهه، فهذا يدل على أنك فعلت الفعل له فقط وليس لغيره فيه شركة"(١)، وهذا المعنى على خبرية الآية.

أما على اعتبار كونها إنشائية في بنائها على الطلب وليس النفي – كونها خبرية لفظا إنشائية معنى – في قوله: "وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ " فهي نهي عن النفقة إلا على هذه الصورة في كونها ابتغاء وجه الله، وهذا فيه من الحض والحث على النفقة بهذه الصورة ما فيه، وعدم الامتثال لهذا الطلب يخرج العمل عن الإخلاص المطلوب، ويخرج صاحبه من الحق الذي علّمه الله أهله إلى المقابل له من الجهل المتصف به أهل الباطل، وهذا بعض من الترقي في الآية، أما كون لفظ الآية الخبر ومعناه الإنشاء فدليل على حصول الامتثال من أهل الحق في النفقة، لأنه "لما نهى عن أن يقع الإنفاق إلا لوجه الله، حصل الامتثال، وإذا حصل الامتثال، فلا يقع الإنفاق إلا

---

١ – مفاتيح الغيب (٦٦/٧ وما بعدها).

لابتغاء وجه الله، فعبر عن النهي بالنفي لهذا المعنى"(١) وحصول الامتثال بعض من الترقي في إخلاص العمل لله، الذي هو شرط قبوله، وكان هذا الاشتراط من معاني الآية على اعتبار كونها حالية(٢) من الآية السابقة، فشرط كون الانفاق للخير في قوله تعالى: "وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ "لا يعود لصاحب النفقة بالخير والأجر إلا إذا كان ابتغاء وجه الله، فإنفاقكم من الخير إنما هو لأنفسكم حال كونه إنفاقا لا يكون إلا ابتغاء وجه الله.

كذلك على المستوى الأفقي في ارتباط الآيات وعلاقاتها في سياقها الخاص تعلقت سبل الإنفاق السابقة بأصحابها من الفقراء، خاصة أهل الصفة من أصحاب النبي ﷺ وذلك في قوله: " لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ "فقوله: "للفقراء متعلق بـ تنفقون الأخير، وتعلقه به يؤذن بتعلق معناه بنظائره المقدمة، فما من نفقة ذكرت آنفا إلا وهي للفقراء لأن الجمل قد عضد بعضها بعضا"(٣) فإن كان في الآيات حث على النفقة عموما فهي على أصحاب هذه الصفة ممن لا يسألون الناس إلحافا أولى، ولهذا ذهب بعض الصحابة إلى أهل الصُفة من أصحاب النبي ﷺ بصدقاتهم بعد نزول هذه

---

١ – البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) – تحقيق: صدقي محمد جميل – الناشر: دار الفكر – بيروت – الطبعة: ١٤٢٠ هـ (٦٩٥/٢).

٢ –ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) – تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ (١٦٦/١).

٣ –التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) – الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤ هـ (٧٤/٣).

الآية(١)؛ فقلة ذات يدهم عن الضرب في الأرض أحصرتهم لدين الله عبادة وقربي؛ فاستحقوا التفضيل والتقديم على غيرهم من أصحاب الرياء فكان النهي عن طردهم في الموضع التالي.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة تنامي المعاني وتكاملها:

وهذا ما جاءت به بلاغة الترتيب في الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢) حيث نفى صراحة تحمل النبي ﷺ بعضا من حساب قومه، أو نفقتهم التي حث عليها ربهم في الموضع السابق بل النفي مسلط على اختصاصه بشيء من ذلك، وزاد في تنامي المعاني وتكاملها أن نفى عن قومه تحملهم لبعض حساب النبي ﷺ ؛ أو نفقته فليس عليهم شيء من ذلك، ودخول النفي في حيز جملة النهي يجعلها من تمامها.

كذلك كانت المقابلة في السياق العام أشد تكاملا بين أهل الحق وأهل الباطل، خاصة بين المخلصين في توجيه أعمالهم إلى الله – سبحانه وتعالى – وبين من يراءون بأعمالهم فلا يعنون إلا بنظرة الناس إليهم؛ وهذا واضح جلي في سبب نزول الآية الكريمة حيث طلب جماعة من رؤساء المشركين – أو وجهاء القوم – من النبي ﷺ طرد أو تنحية فقراء المسلمين من أهل الصفّة ممن يلزمون المسجد احتقارا لشأنهم بدعوى كونهم يؤذونهم بريحهم،

---

١ – ينظر: مفاتيح الغيب (٧/٧١).

٢ – سورة الأنعام: آية: ٥٢.

وحتى لا يراهم الناس معهم في مجلس واحد فتسقط هيبتهم في عيونهم، وطلبوا من النبي ﷺ أن يكتب لهم بذلك كتابا؛ فهمّ النبي ﷺ أن يفعل تأليفا لقلوبهم رحمة بهم إذا دخلوا الإسلام؛ فنزلت الآية(١).

كذلك من أمارات تكامل المعاني وتناميها مجيء موضع الشاهد جزءا من صلة الموصول في قوله تعالى: "وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ففي التعريف بالموصولية دليل على اختصاصهم بهذه الصفة حتى صارت علما عليهم، كأنه إذا ذكر من يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه انصرفت الأذهان إليهم، ووقعوا في الخاطر دون سواهم، وذلك على شرط كون دعوتهم في هذه الأوقات مقيدة بجملة الحال(٢) في قوله تعالى: " رَبَّهُم " فكان هذا القيد هو الذي بوأهم هذه المنزلة؛ فأعمالهم موجهة إلى الله ﷻ إخلاصا وقربى لا يريدون بغيره بدلا، ولا يبغون عنه حولا؛ فإذا كان على المستوى الرأسي قد قُرر في الموضع السابق ضرورة ألا تكون النفقة للفقراء إلا ابتغاء وجه الله، فإن انقطاع أهل الصفة للعبادة لكونهم لا يريدون إلا وجه ربهم.

---

١ – ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ت: ٤٦٨هـ) – تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان – الناشر: دار الإصلاح – الدمام – الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ص ٢١٨ وما بعدها، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني – الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م (٥٢٧/١).

٢ – ينظر: إعراب القرآن الكريم للدعاس – الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ (٣٠٦/١).

فمن التنامي إضافة الوجه إلى ضمير الرب في قوله: " وَجۡهَهُۥ " بخلاف الموضعين السابقين حيث جاء مضافا إلى لفظ الجلالة "الله" في قوله: "ك ك"، وذلك لما في لفظ "رب" من عناية بجانب التربية والرعاية، إلى جانب ما فيه من معاني توجيه العبادة إليه وإفراده بهذه العبادة دون سواه وهو ما يختص به لفظ الجلالة "الله" فمقام الألوهية الخاص بتوجيه العبادة إلى المولى ﷻ المستعمل في الموضعين السابقين فرض واجب في حق جميع عباده المؤمنين ممن يحققون هذه الصفة، أما داعي التنامي في هذا الموضع فجاء في نصرة طائفة خاصة من المؤمنين أراد رؤساء القوم احتقارهم، وهو المنقطعون لعبادة ربهم ﷻ بالغداة والعشي؛ فكان مقام الربوبية أليق بهم وهو يتضمن مع دلالة الربوبية دلالة الألوهية أيضا، لكون الآية نصا في الدلالة على انقطاعهم للعبادة في قوله تعالى: "ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ" بل هي أجلّ ما يتوجه به العبد إلى ربه وهي الصلاة(١)، ولكن "لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحان أليق بالحماية والإعانة والرعاية والخلق والتدبير والتربية والإصلاح، المتضمن للقدرة التامة والرحمة الواسعة، والإحسان الشامل والعلم الكامل"(٢) أضافها إليهم فقال: "ربهم"؛ فكان هذا مناط التنامي والتكامل.

كذلك من التكامل في المعاني حسن التقسيم في قوله تعالى: "الغداة والعشي" وذلك إما على كون "الدعاء" مجازا في الصلاة لعلاقة الجزئية؛ فالدعاء مخ

---

١ – ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ (١٢٦/٢).

٢ – نظم الدرر (٤٢٥/٢٢).

العبادة(١) وكأنهم استغرقوا جميع الأوقات في العبادة من اليوم في النهار والليل، وهذا يدل على دوام اتصالهم بالمولى ﷻ وكونهم في معيته وحضرته فملازمتهم ومجالستهم ونصرتهم إنما هو إجلال لهذه المعية؛ لكون هذه المعية لا يدانيها شيء فضلا عن موافقة أهل الكبر والرياء – ممن طلب من النبي ﷺ طردهم عنهم – في رأيهم وقولهم.

وإما على كونهم ملهمين بالاجتهاد في الدعاء أوقات رجاء الاستجابة من الليل والنهار، في إقبال النهار وإدبار الليل من الغداة، ووقت إقبال الليل وإدبار النهار من العشي، وذلك حيث تفتح أبواب السماء في وقت تعاقب الملائكة حين يسأل المولى ﷻ ملائكته عن عباده – وهو أعلم بهم – كيف تركتم عبادي يقولون تركناهم وهو يصلون وآتيناهم وهو يصلون(٢)، أو دبر الصلوات الذي هو عندهم أطول من غيرهم، وذلك لطول مكثهم في المسجد فيستمر الدعاء دبر الصلاة حتى الصلاة التالية، ولهذا كان دعاؤهم

---

١ – أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في السنن ٥/ ٤٥٦، كتاب الدعوات (٤٩)، باب ما جاء في فضل الدعاء (١)، الحديث (٣٣٧١)، وقال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة) مصابيح السنة للبغوي (ت: ٥١٦ هـ) – تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي – الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م (١٣٩/٢).

٢ – ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – تحقيق: سامي بن محمد سلامة – الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م (٥٦/١)، والجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لأبي عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن حميد الأزدي (ت: ٤٨٨هـ) – تحقيق: د. علي حسين البواب – الناشر: دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م (١٢٧/٣).

أرجى من غيرهم، وكل هذا لا يطلبون به أحدا، وإنما إخلاصا لله ﷻ فهو كما قال الله عنهم: "يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ"؛ فإذا كان لفظ الوجه متعلقا بفعل الإرادة فليس له معنى سوى الإخلاص في توجيه العمل إلى المولى ﷻ لاستحالة وقوع هذه الإرادة المتعدية إلى الوجه حقيقة، وعلى ذلك فالوجه ليس مقصودا على حقيقته، وإنما هو الإخلاص في توجيه العمل، وهذا باب من التفصيل في هذا الموضع.

وعلى المستوى الأفقي لموضع الشاهد في بيان المقابلة بين الحق وأهله والباطل وأهله، في قوله تعالى في السياق القبلي: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ " فجاء الاستفهام بمعنى النفي حيث لا يستوي الكافر والمؤمن، وإنما بنيت الآية على الاستفهام ليرتجع الكافر ويردتع عند رؤيته الآيات ولذا ختم الآية بقوله: "أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ حضا وحثا على التفكر للوصول إلى إجابة السؤال السابق، ثم جاءت البشرى لأهل الحق بكونهم في معيته بعبادتهم، كذلك الإنعام عليهم بالسلامة والسلام في قوله تعالى: "سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ"، وذلك في مقابل الوصف بالإجرام في ختام الآيات التي نطقت بالتفصيل في قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ "لأتباع الباطل الذي عموا عن الآيات؛ فأجرموا في حق أنفسهم، وفي تكذيبهم بهذه الآيات فاستحقوا وصف: "الأعمى"، ولمن سار على دربهم من أهل الباطل، بخلاف أهل البصر ممن استبان لهم هذا الطريق فاجتنبوا وصبروا على موعود الله، فاستحقوا السلام من ربهم.

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الترقي:

وهذا ما جاءت به بلاغة الترتيب في الموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ

صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ حيث كان ترقيهم في الوصف في كون صبرهم علي بصر، وبصيرة، وعلم بهذا الحق، وذلك يوضحه المستوى الأفقي في السياق القبلي للآية في قوله تعالى: "أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ " وهذا في مقابلة الأعمى الذي عمى عن هذا الحق وجحده، فاستحق الوصف بذهاب عقله في مقابلة من علم الحق فاستحق الوصف بكونه من أولى الألباب كما أخبرت الآية الكريمة، وعلى هذا العلم وذلك الوصف جاءت صفاتهم التي من بينها الصبر ابتغاء وجه ربهم، حيث استأنفت الآيات بيانا عن أولي الألباب في قوله: " ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ " وهذه الصفات هي صفات أهل الحق التي ذكرت في مقابلة صفات أهل الباطل في قوله تعالى: "وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ فالسياق مبني على المقابلة التفصيلية لفعل الفريقين.

أما مظاهر الترقي في الآية موطن الشاهد في قوله تعالى: " وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ " فأولها تعريفهم بالموصولية التي اتخذت فعل الصبر صلة لها؛ فالصبر هنا يتضمن صبرهم على المكاره والطاعات، على المأمور والمحذور والمقدور؛ كما قال أبو حيان: "ويظهر أيضا أن اختصاص هذه الصلة بالماضي وتينك بالمضارع، أن تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب

والالتباس دائما، وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين، وما عطف عليهما، لأن حصول تلك الصلات إنما هي مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها، ولذلك لم تأت صلة في القرآن إلا بصيغة الماضي، إذ هو شرط في حصول التكاليف وإيقاعها"(١) فكأنه أداة أصحاب الصفة في الموضع السابق فبه صبروا على حالهم من الشدة وقلة ذات اليد، وبه صبروا على دعوة ربهم بالغداة والعشي؛ فهنا جُهر بهذه الصفة؛ فكأن الصبر صار صفتهم التي بها يُعرفون، فظاهر حالهم يشهد بذلك لكل من رآهم من الناس، ومخبرهم يصدق ظاهرهم عند الله ﷻ؛ فهو أعلم بهذا؛ ولذا عرفهم به في رأس الآية قبل الصلاة والنفقة ودفع السيئة بالحسنة؛ حيث اختصهم بالصبر من بين طاعاتهم الكثيرة التي عملوها ببناء المفعول له في قوله: "ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ " وإن كانت جميع طاعتهم خالصة لوجه الله لا يشوبها رياء ولا شرك؛ وذلك لصلاحية تقدير حذف المفعول لأجله بعد كل من: إقامة الصلاة والإنفاق من رزقهم سرا وعلانية، ودفع السيئة بالحسنة؛ لدلالة الأول عليه؛ فكل ابتغاء وجه ربهم.

أما في اختصاص الصبر ببناء المفعول لأجله؛ ذلك إما لكون الصبر صفة خاصة بالمراقبة لله ﷻ، فلما راقبوا الله ﷻ أنعم عليهم بهذا الصبر؛ إذ هو عطاء من الله ﷻ، ففي الحديث وما أجد لكم رزقا أوسع من الصبر(٢)، قال

---

١ – البحر المحيط (٦/ ٣٨٠)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة (ت: ١٤٠٤ هـ) – تصدير: محمود محمد شاكر – الناشر: دار الحديث، القاهرة – الطبعة: بدون (١٨٦/٨).

٢ – بعض من حديث: عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى

تعالى:" وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ "(١)، فهذا كله يقتضي المراقبة من العبد لله، كما يقتضي إعانة الله ﷻ له بالإنعام عليه في الدنيا – بإعانته على الصبر– وفي الآخرة – بالجزاء الحسن – وهذه المراقبة تستلزم المعية مع المولى ﷻ فيجتمع لهم الإنعام والمراقبة والمعية خاصة إذا كان صبرا على الشدائد كما جاء في كتاب الله ﷻ (٢)؛ وإما لكون الصبر عاما في كل الأعمال طاعات وغيرها، ولكن عطف الطاعات والعبادات من صلاة ونفقة وغيرها على الصبر يقتضي كون الصبر مغاير لهذه الطاعات، وهذا دليل على كونهم لا يجاهدون أنفسهم في هذه الطاعات ففعلهم لها إنما محبة وقربى، وحرص ولذة دون أن يحملوا أنفسهم عليها من خلال الصبر؛ فكان الصبر الذي صدرت به صلة الموصول إنما هو صبر على المكاره والرزايا فهم " يصبرون على ما أصابهم من ضر، وما مسّهم من أذى، وما نزل بهم من مكروه، يرجون بهذا، الجزاء الحسن من الله على رضاهم بالمكروه، وصبرهم على الضر، إذ كان ذلك تسليما منهم بقضاء الله، وإيمانا بحقه سبحانه

الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" ينظر: المسند الجامع – تحقيق: محمود محمد خليل – الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت – الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م (٢٨٠/٦).

١ – بعض أية من سورة النحل: آية ١٢٧.

٢ – حيث جاء هذه المعية في أربعة مواضع في القرآن الكريم كلها في سياق القتال وملاقاة العدو، وفيه من الشدة والمكاره ما فيه وهذه المواضع هي قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ " سورة: البقرة آية: ١٥٣، وقوله "وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ " سورة: البقرة آية: ٢٤٩، وقوله "إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ "" سورة: الأنفال آية: ٤٦، وقوله "وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ " سورة: الأنفال آية: ٦٦.

وتعالى في ملكه، يفعل ما يشاء، لا معقّب لحكمه"(١)؛ فأفاد هنا ترقيا في المعاني.

كذلك من الترقي في معنى إخلاص توجيه العمل إلى الله ﷻ في قوله تعالى: "ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ " إضافة الوجه إلى لفظ "ربهم" دون ضميره مع إضافة لفظ "الرب" إلى ضميرهم – مع تعلق هذه الإضافة بمصدر الابتغاء – ففيه زيادة في معني الإخلاص؛ أما الإضافة الأولى: حيث أضاف الوجه إلى لفظ "الرب" لما ذكر سابقا في حاجتهم إلى الإعانة والتربية من الله ﷻ ولولا هذه الإعانة لما تحملوا هذه الشدائد وصبروا عليها، أما الإضافة الثانية: حيث أضاف لفظ "الرب" إلى ضميرهم في قوله: "ربهم"؛ فهذا إلى كونه فيه مزيد تشريف لهم إلا أنه يدل على المعية التي حصلت لهم من مراقبة الله ﷻ في صبرهم، وإلى كمال التربية والإنعام الذي حصل لهم حقيقة حتى صار الصبر علما عليهم، وكأن اختصاصهم بالصبر فرع عن اختصاصهم بمعاني الربوبية التي حصلت لهم بهذه الإضافة، وكأنهم ما استحقوا هذه الفضيلة من إضافة لفظ "الرب" إلى ضميرهم وكأنه ربهم دون سواهم إلا بفضيلة الصبر أو لحرصهم الشديد من خلال هذا الصبر على كونهم المختصون بهذه الربوبية، لكون الصبر كان لابتغاء وجه ربهم.

كذلك من الترقي تعلق قوله: "وَجۡهِ رَبِّهِمۡ" عن طريق الإضافة بالمفعول لأجله في قوله: " ٱبۡتِغَآءَ " بخلاف الإرادة في الموضع السابق في قوله تعالى: يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ " لما في الابتغاء من خصوصية "الاجتهاد في الطلب، فمتى كان

---

١ – التفسير القرآني للقرآن (١٠٣/٧).

الطلب لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود"(١) وفي هذا دليل على كون الصبر محمودا لهم حتى اجتهدوا في طلبه "وشرط هذا النوع من الصبر رفض ما يمنع من الوصول، واستدامة التوقي منه، فيدخل فيه ترك الشهوات، والتجرد عن جميع الشواغل والعلاقات، فيصبر عن العلة والزّلة، وعن كل شيء يشغّل عن الله، ومما يجب عليه الصبر الوقوف على حكم تعزّز الحق، فإنّه- سبحانه- يتفضّل على الكافة من المجتهدين، ويتعزز- خصوصا- على المريدين، فيمنحهم الصبر في أيام إرادتهم، فإذا صدقوا في صبرهم جاد عليهم بتحقيق ما طلبوا"(٢) ولهذا جاد عليهم المولى ﷻ بالسلام العظيم الذي لا يعلم كنهه إلا الله في الآية التالية على المستوى الأفقي في قوله تعالى: " سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ " وكان هذا السلام لصبرهم خاصة، وهذا الإنعام بالسلام بسبب صبرهم من الترقي على المستوى الرأسي في سياق هذا الموضع عن سياق الموضع السابق، وذلك في قوله تعالى: " عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ "(٣) والذي جاء فيه الإنعام بالسلام مقترنا بالبشرى بالرحمة، هذه الرحمة التي فسرت بما جاء بعدها في قوله تعالى: " أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ " وهذا المعنى على قراءة كسر همزة " أَنَّهُۥ "، أو مع قراءة الفتح على كون الجملة بدلا من

---

١ – المفردات في غريب القرآن ص ١٣٧.
٢ – لطائف الإشارات (٢/ ٢٢٦ وما بعدها).
٣ – سورة الأنعام: آية ٥٤.

الرحمة فتفسر الرحمة بالمغفرة والرحمة التي ختمت بها الآية(١)؛ والسلام الأول في قوله: سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ " كان من الله ﷻ مباشرة عليهم وهذا فيه من القربى المتحققة بالصبر ما فيه، فلم يكن فيه واسطة بينهم وبينه، بخلاف السلام الثاني في قوله: " سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ " حيث كان السلام على لسان النبي ﷺ تبليغا من الله ﷻ ، وهذا من الترقي في بيان علو درجة المخاطبين بالسلام الذين بلغوا بسبب الصبر هذه الدرجة.

ولهذا الصبر خاصة جاء ترتيب هذا الموضع قبل الموضع الخامس والذي يشترك مع الموضع الثالث في سبب النزول العام مع زيادة الأمر بالصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ (٢).

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الترقي.

حيث الترقي ظاهر في هذا الموضع سواء على المستوى الأفقي في السياق الذي بنى على المقابلة بين الحق والباطل أو في معنى الموضع، ففي السياق حيث الأمر للنبي ﷺ بالإنذار للمشركين في قوله: وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ

---

١ – ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت: ٣١١هـ) – تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي – الناشر: عالم الكتب، بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م (٢/٢٥٣)، وتفسير الكشاف(٢/٢٩).

٢ – سورة الكهف: آية: ٢٨.

اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا "(١) وذلك في مقابل البشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات في قوله: " "وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا "(٢) وهذا المعنى مبثوث في ثنايا السورة كلها، وما ورد فيها من قصص: حيث مآل الكافرين، وعاقبة المتقين، كما في قصة أصحاب الكهف مع قومهم، وصاحبي الجنتين، ثم من يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ومن أغفل قلبُه واتبع هواه وكان أمره فرطا.

أما الترقي في المعنى فمرتكز في الأمر بالصبر في قوله: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ " وذلك لكون الداعي الأساس في هذا الأمر مع هذه الفئة خاصة هو: كونهم " يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " حيث قيد عبادتهم بالغداة والعشي بهذه الحال، حيث الإخلاص في توجيه العمل إلى الله ﷻ لا ينفك عن عبادتهم، بل هو أساس قبولهم، وقربهم من الله؛ ولهذا أمر الله ﷻ نبيه بالركون إليهم تسلية له ونصرة عن المعرضين من أهل الباطل.

حيث كان الأمر بالصبر بعض هذه النصرة التي بينتها التوجيهات الإلهية تسلية للنبي ﷺ ورحمة به مما أصابه من الجهد البالغ في حرصه على إيمان طائفة غلفت قلوبهم، واتبعوا أهوائهم، حتى قال له الله – تعالى –: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا " حيث كان عمله ﷺ قاصرا على كونه نذيرا وبشيرا لقومه؛ وسلّاه المولى ﷻ بقصص من سبق، وأمره بتلاوة كتاب الله فإليه الملجأ، والصبر مع المستضعفين من

---

١ – نفس السورة: آية: ٤.

٢ – نفس السورة: آية: ٢.

المؤمنين ممن يريدون وجه الله بعبادتهم غدوة وعشيا؛ فكان النبي ﷺ – بعد نزول هذه الآية – لا يقوم ويتركهم(١)، ويقول: "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم"(٢)، فجمع له مع تلاوة كتاب الله ﷻ في قوله: وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا " مع الأمر بالصبر؛ وكأن في الميل إلى كتاب الله، وحبس النفس مع أهل الصفة الملجأ والملتحد والنصير، كذلك في العطف معنى آخر وهو إذا كان الأمر بتلاوة آيات الله ﷻ وما فيها من قصص السابقين أمثال أصحاب الكهف وغيرهم ممن كانوا مستضعفين وحصلت لهم النصرة والفوز من الله بعد البعث، وهذا مما لا يتبدل من كلمات الله، فأهل الله لا يخزيهم الله أبدا فهو النصير والملجأ لهم والملتحد ففي الأمر بالصبر وحبس النفس مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي تنبيه على الدخول في هذا الملتحد بعد البعث: الذي تحكيه قصة أصحاب الكهف؛ وهذا ما يشير به لفظ الغداة والعشي في الآية حيث " كنى عن المداومة بما يدل على البعث الذي كانت قصة أهل الكهف دليلا عليه فقال تعالى: "بِٱلۡغَدَوٰةِ " أي التي الانتقال فيها من النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة "وَٱلۡعَشِيِّ " أي التي الانتقال فيها من اليقظة إلى النوم كالانتقال من الحياة إلى الموت"(٣) ، وهذا من معاني

---

١ – ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن (٦٨٢/٢).

٢ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) – تحقيق: حسام الدين القدسي – الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م (٢١/٧).

٣ – نظم الدرر (٤٩/١٢).

الترقي في هذا الموضع في معنى الآية.

كذلك من الترقي كون الصبر المأمور به النبي ﷺ لا هو صبر على المكاره والزلات والمعاصي حيث النبي معصوم عن ذلك، ولا هو صبر على الطاعات والعبادات لكونه ﷺ القدوة والمثل في ذلك، وعلى تبليغه سار أهل الصفة من أصحابه واستحقوا هذه المنزلة؛ فعلى هذا – والله أعلم بمراده – إنما هو حبس نفس وتثبيت على المعية مع هؤلاء، هذه المعية التي تستوجب الحمد الذي بدأت به السورة الكريمة، ففي معيتهم آثار تبلغيه ﷺ وثمرته، فهم قوم استجابوا لدعوة نبيهم وآثروا الأخرة على الدنيا ورضوا بذلك، فما دون هذه المعية إنما هو زينة الحياة الدنيا، ولذا قال الله تعالى بعد الأمر بالصبر: وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا" فليس ممالأة الذين احتقروا مجلس هؤلاء، وطلبوا انفرادهم بالجلوس مع النبي ﷺ إلا زينة الحياة الدنيا من الكبر والعجب، فلذا كان التثبيت من الله لنبيه ﷺ بالنهي عن إطاعتهم في قوله تعالى: " وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا "، فلو أن قلوبهم استمعت لنداء الحق لعلموا أن الجلوس مع من يدعون ربهم بالغداة والعشي خير من الدنيا وما فيها، إذ ما هم فيه هو خير وأبقي من هذه الدنيا، وعلى هذا التثبيت كان الأمر بالصبر وما تبعه من نواهي، أو سبقه من أوامر، وهذا "دليل على الاعتناء به ﷺ لعظم أمر الصبر وشدة الحاجة إليه في كل مطلب ديني من أخذ أو ترك"(١)

---

١ – ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للغرناطي (ت: ٧٠٨هـ) – تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: بدون (٤١٩/٢).

وعلى هذا التثبيت والاعتناء بشأنه ﷺ جاءت بلاغة الترتيب في الموضع السادس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة التعليل:

على المستوى الأفقي جاء السياق القبلي للشاهد بالخطاب المباشر للنبي ﷺ أمرا ونهيا، أولا: في كونه مختارا من الله ﷻ في نزول الكتاب إليه وهذا من رحمة الله سبحانه عليه، وعلى المؤمنين من أمته، وذلك في قوله تعالى: " وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ "(١) فكانت هذه الرحمة مما يستوجب كمال الحمد الذي جاء على المستوى الرأسي في سياق الموضع السابق في قوله: " "ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ " " وذلك في نزول الكتاب عليه، هذا الكتاب بما فيه من هدى ورشاد أولى في التمسك به، هذا الكتاب الذي فرض على نبيه ﷺ قراءته تسلية وذكرا، وهذا من الاعتناء بشأنه ﷺ ، وعلى هذا الاعتناء كان مصدوق وعد الله ﷻ له بالبشري في فتح مكة، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ " وهذا كله من التعليل لصبر نفسه في معية الله ففيها النجاة وكمال الرضا؛ وهذا من الاعتناء بشأن النبي ﷺ، وكان على هذا الإكرام والإنعام مقام النبي ﷺ عند ربه، وعلى قدر هذا المقام نهاه المولى سبحانه وتعالى أن يكون للكافرين ظهيرا، وذلك في قوله: " "فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا

---

١ – سورة: القصص آية: ٨٦.

لِّلْكَٰفِرِينَ " " حيث رتب تسبيبا وتعليلا على شدة الاعتناء به ﷺ في إلقاء الكتاب إليه رحمة من ربه هذا النهي، وذلك عن طريق العطف بالفاء، وهذا يدل بطريق المخالفة أن يكون ﷺ ظهيرا للمؤمنين، وهذا بعض التعليل في سياق المقابلة بين الحق والباطل ونصرة الله ﷻ لأهل الحق بكون النبي ﷺ ظهيرا لهم، ودحضه لأهل الباطل بنهيه النبي ﷺ أن يكون لهم ظهيرا، أو كونهم يصدونه عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليه فيكون منهم، وذلك في قوله: وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وهذا جعل لهم من الخزي والذلة ما فيه، كذلك الإخبار مسبقا في بداية السورة الكريمة عن الإنعام على المستضعفين بأن يجعلهم المولى ﷻ أئمة ويجعلهم الوارثين، وذلك في قوله تعالى: " وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ " حيث عموم المعنى يتناول أصحاب النبي ﷺ من أهل الصفة الذين أُمر النبي أن يصبر نفسه معهم في الموضع السابق على المستوى الرأسي، وعلى هذا الإنعام والمن كان التعليل في هذا السياق عن طريق المقابلة بين الحق وأهله، والباطل وأعوانه في هذا الموضع على المستوى الأفقي.

أما ظاهر التعليل ففي معنى قوله " كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ " والذي جاء علة للطلب على المستوى الأفقي في قوله: " " وَلَا تَدْعُ " حيث كل عمل لا يكون خالصا لوجه الله ﷻ محكوم عليه بالهلاك مسبقا، وذلك حيث أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ – والأمر للنبي أمر لأمته أيضا – بالثبات على الطاعة، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى في قوله: وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ " والنهي عن أن يخالط المشركين في أعمالهم حيث

هذا منافي للإخلاص المأمور به، ثم التأكيد على هذا الإخلاص بقوله: " وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ " وقد نص فيه على كون المقام خاص بالعبادة في توجيه الأعمال إلى الله ﷻ وذلك في قوله: لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ " ليأتي بعد ذلك موضع الشاهد ليقرر المعنى بأن كل الأعمال المشوبة بهذا الشرك هالكة باطلة إذ الهلاك: "بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا، وذلك المسمى فناء المشار إليه"(١)، فلا يبقى إلا ما كان خالصا لوجهه، فقوله: " لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ " أي "إلا ما أريد به وجه الله"(٢)، وعلى هذا كان الترتيب في هذا الموضع بتتابع الأوامر والنواهي التي من شأنها تنفر من الإشراك في الأعمال الموجهة إلى المولى سبحانه وتعالى، كذلك في توجيه هذه الأعمال في ظاهرها إلى المعصوم من ذلك ﷺ يستلزم بطريق الإيماء والإشارة أن يكون نهيا موجها إلى عباد الله جميعا، وهذا مما جاءت به بلاغة الترتيب في الموضعين التالين وذلك في قوله تعالى:

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) وفي قوله تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ

---

١ – المفردات ص ٨٤٤.

٢ – فتح القدير للشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) – الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ (٤/٢٢٠).

٣ – سورة الروم: آية: ٣٨.

وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (١)

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة السببية:

والموضعان جاءا متتالين في سورة واحدة يعقب الثاني منهما الأول، حيث ظاهر الخطاب في الأول منهما للنبي ﷺ أما الخطاب في الثاني فظاهره لعامة العباد، وهما وإن كانا على هذا الظاهر في الخطاب فإن عموم الخطاب فيهما مراد لكل من يتأتى في شأنه هذا الأمر، وعلى المستوى الرأسي فإن سياق الموضعين يشترك مع المواضع السابقة في كونه ينبئ بالمقابلة بين الحق والباطل وذلك في قوله تعالى: " ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ "(٢) والسورة الكريمة تدور في جل معانيها على الإيمان بالغيب، وسوق الدلائل على البعث الذي يعد أعلى مراتب الإيمان بالغيب، وذلك بما يترتب عليه من ثواب وعقاب، وعلى هذا الإيمان يكون عمل المرء في حياته الدنيا، بل على قدر إيمانه ويقينه بالبعث يكون اجتهاد العبد في حياته في توجيه أعماله الصالحة إلى المولى سبحانه وتعالى للفوز بالآخرة، وعلى هذا المعنى جاءت الآيتان في الموضعين، وذلك لتوجيه وإرشاد عباد الله المؤمنين إلى ما يحقق لهم الفوز في الآخرة، فإذا كان الموضع السابق منبئا بكون بهلاك كل ما كان القصد فيه لغير الله فقد تسبب عن ذلك أن يؤمر النبي ﷺ وجماعة المؤمنين بما

---

١ – نفس السورة: آية: ٣٩.

٢ – سورة الروم: الآيات: ١٤، ١٥، ١٦.

هو خير لهم مما يقصد به وجه الله – سبحانه –.

فعلى المستوى الأفقي كان الخطاب للنبي ﷺ بذلك، والمؤمنون له تبع في سياق هذه الآيات القبلي والبعدي، فقبله قال تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "(١) فالأمر بإقامة الوجه "تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإنّ من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره، وقوّم له وجهه"(٢)، وعلى هذا يكون الأمر بإيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل من الإقبال على الدين والاستقامة عليه، لأنه إذا كان معنى قوله تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا"أي "أخلص قصدك إلى الله، واحفظ عهدك مع الله، وأفرد عملك في سكناتك وحركاتك وجميع تصرفاتك لله"(٣) فإنه يدل بطريق المخالفة على مجانبة أهل الشرك في عملهم وقولهم، لكون هذا الشرك ينافي هذا الإخلاص المنوط بإقامة الوجه.

أما في السياق البعدي للآيتين فجاء قوله تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ "(٤) فهو تأكيد على هذا الإخلاص المنافي للشرك صراحة حيث عطف بفاء السببية، فكان الأمر بإقامة الوجه

---

١ – سورة الروم: آية: ٣٠.

٢ – الكشاف (٣/٤٧٩).

٣ – لطائف الإشارات (٣/١١٦).

٤ – سورة الروم: آية: ٤٣.

مسببا عن مجانبة أفعال المشركين في الآية السابقة في قوله: "قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ " فللنجاة من هذا الشرك أقم وجهك، وعلى ذلك "كأن المعنى: إذا قد ظهر الفساد بالسبب المتقدم فأقم وجهك يا محمد إلخ"(١)، وعلى ذلك المعنى كانت علاقة السببية الرابطة بين المستوين الرأسي والأفقي في سياق الموضعين في المقابلة ببين الحق والباطل، بالتأكيد على إخلاص العمل لله لأهل الحق، والذي جانبه أهل الباطل فوقعوا في الشرك.

أما السببية في معنى توجيه العمل إلى الله ﷻ في الموضعين في معنى قوله: " "وَجْهَ ٱللَّهِ " فهذا مبني على هلاك كل شي خلا ما كان الإخلاص فيه لله؛ ففي الموضع الأول من السورة، فإن صفة الإخلاص وتوجيه العمل إلى الله ﷻ صارت لازمة لأهلها متقررة يُعرفون بها، حيث انفردت بها جملة الصلة في قوله تعالى: "لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ " بعد الأمر بالأعمال الصالحة؛ كذلك من السببية العدول في بناء الكلام ، والذي تبعه عدول في المعنى، فعدل أولاً: من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع: فالآية الكريمة مبنية على خطاب النبي ﷺ في قوله: " فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ " ثم قال: " ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ " ولم يقل: ذلك خير لك، كذلك العدول عن طريق الالتفات لأنه إذا كانت الآية مبنية على الخطاب فقد عدل عن ذلك في قوله: " يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ" للغيبة.

أما العدول الأول من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع فإما للتنبيه على كون

---

١ – فتح القدير (٢٦٣/٤).

الأمر ليس خاصا بالنبي ﷺ منفردا عن عباد الله المؤمنين، فكل من فعل ذلك من إيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل غير مشرك في عمله هذا مع الله أحدا، وغير مبتغٍ بعمله هذا رياء، ولا سمعة، ولا حاجة من حواج الدنيا =كان خيرا له؛ وإما للتنبيه على مقام الكمال والعصمة للنبي ﷺ مع شدة الاعتناء به والإكرام له؛ وذلك لكون علة الأمر في قوله تعالى: " ذَٰلِكَ خَيۡرٞ " يقتضي المفاضلة بما يقابله من انتفاء الخيرية، لأن لفظ خير من أسماء التفضيل الذي يستلزم مفضلا عليه؛ وذلك لكون "خير يجوز أن يكون تفضيلا والمفضل عليه مفهوم من السياق أن ذلك خير من صنيع أهل الجاهلية الذين يعطون الأغنياء البعداء للرياء والسمعة، أو المراد ذلك خير من بذل المال في المراباة التي تذكر بعد في قوله: " وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ "؛ ويجوز أن يكون الخير ما قابل الشر، أي ذلك فيه خير للمؤمنين، وهو ثواب الله"(١)، فكان العدول عن ما يوهمه الخطاب في شأن كمال النبي ﷺ دليل على الاعتناء به، وهذا الاعتناء من السببية المتفرعة عن الموضع السابق.

أما العدول الثاني من الخطاب إلى الغيبة؛ فهو إلى جانب التنبيه على كمال النبي ﷺ، وإكرامه في مخاطبته بما يوهم خلاف الإخلاص في إيتاء ذوي القربى والمساكين، كأن يكون الإعطاء لاستمالة قلوبهم إلى الإيمان إن كانوا من أهل الشرك – والله أعلم – كذلك فهو للتنبيه على كون هذا الخير العظيم المشار إليه في قوله: " ٹ ٹ " حاصلا ممتدا إلى يوم القيامة، عام في كل

---

١ – التحرير والتنوير (٢١/١٠٤).

مؤمن يعطى هؤلاء مخلصا في توجيه عمله هذا إلى الله ﷻ؛ وذلك لكون هذا العدول كائن من زمان الاستقبال القائم على الخطاب في قوله: " فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ " إلى زمان الحال والاستقبال في قوله " لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ " فالخير حاصل لهم متى أعطوا، ومتى أرادو الإعطاء أو نووا ذلك، وذلك في كل زمان ومكان؛ كذلك فيه دلالة على كون هؤلاء المخلصون معلومين قبل الأمر بالإعطاء، وهذا من السببية في العدول في الموضع الأول من السورة.

أما الموضع الثاني ففيه من السببية التي تربطه بالموضع الأول من التأكيد على مجانبة ما يحبط الإخلاص في العمل إلى جانب الشرك والرياء، وهو إرادة النفع من وراء العطية أو الهبة أو الهدية(١)، فيدخل في الهلاك المراد في الموضع السابق على المستوى الرأسي، وذلك عن طريق المقابلة بين من يعطي للمنفعة الدنيوية، ومن يعطي مخلصا لله، وذلك في قوله: " وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ " والقرآن الكريم قد سمّى ما يدفعه الإنسان من العطية أو الهدية يريد بها الزيادة في حال ردت إليه " رِّبًا " فهو "الهدية يهديها الرجل

---

١ – ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني (ت: ١٣٠٧هـ) – تحقيق: خادم العلم/ عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري – الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م (١٠/٢٥٣).

لأخيه يطلب المكافأة"(١) فكان الربا مجازا مرسلا لعلاقة المسببية لكون ما يرجوه المعطي من الزيادة مسبب عن العطية؛ وذلك يدل على كون القلب معقود النية بداية على رجاء هذه الزيادة أثناء دفعه لهديته؛ كما سمّى الصدقة " زَكَوٰةٍ " لعلاقة المسببية أيضا؛ وذلك لكون ما يحصل له من الطهارة والنماء مسبب عن هذه الصدقة، ولكنه لا يعطي إلا مخلصا في توجيه عمله إلى الله، فكان النماء والطهارة حاصلين له وقت دفعه للصدقة؛ ولهذا بنى قوله تعالى: " تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ " على الحالية، وكأنه لا تحصل المضاعفة لمعطي الصدقة إلا إذا أخلص في توجيه عمله إلى الله ﷻ حال الإعطاء، وإن كان هذا مستفادا إجمالا من المجاز المرسل في قوله: " وَٰ " مما يجعل الجملة الحالية توكيدا للكلام، وهذا يربطها بعلاقة السببية في الكلام.

كذلك من السببية على المستوى الأفقي في الموضع التأكيد على كون حق ذي القربي والمسكين وابن السبيل في الآية السابقة من الصدقة التي لا تقترن بحول أو نصاب، وذلك لكونها وقت الحاجة؛ وقد لا يتوفر شرطا الحول والنصاب وقت حاجة كل منهم، وكونه وقت الحاجة نظرا للتشريك بالعطف مع ابن السبيل الذي دفعته الحاجة إلى استحقاق الصدقة، أما ذو القربى الذي انفرد بإضافة الحق إلى ضميره؛ فلكون حقه لا يقتصر على المال فقط لكونه قد يكون ذا سعة، ولكن لا تمنعه سعته من كونه ذا حق وهو ما تستوجبه القربى من البر والصلة، فإذا كان محتاجا فحقه أولى وأشد وهذا لا يتعارض

---

١ – فتح القدير(٤/٢٦٢).

مع كون الآية منسوخة بآية المواريث التي فرضت لذوي القرابة المال(١)، ولمعنى هذه الصدقة خرجت العطية من معنى الصدقة إذا أراد المعطي المكافأة علي عطيته بالزيادة عليها وقت الرد، فليس له عند الله سبحانه أجر، وقد نفى الله عنه الزيادة في قوله: " ﴿فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ " وهو من باب نفي الأولى لكونه المراد من الصدقة، والمعنى فليس له أجر أو زيادة؛ فهو هالك لمنافاة الإخلاص المطلوب، وعلى هذا كانت بلاغة الترتيب في علاقة السببية في هذا الموضع لاختصاصه من الأعمال التي يخلص فيه العبد في توجيه عمله إلى الله بالنفقة في الصدقة والهدية وما يجري مجراها مما هو تطوع وبذل، حيث لا يحصل منه العبد على أجر إلا إذا كان مخلصا فيه إلى الله؛ وكل ما دون ذلك هالك فان، وهو ما جاءت به بلاغة الترتيب في الموضع التاسع في قوله – تعالى –: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ (٢).

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة العموم:

فإذا كان الفلاح ومضاعفة الأجر مرتبا على الإيتاء والبذل إخلاصا وقصدا لله – سبحانه – فذلك على وجه العموم متعلق بالعقلاء وأعمالهم؛ وظاهر معنى الآية هنا متعلق: بعموم الفناء لجميع الخلق مع تفرد المولى سبحانه بالبقاء، وهذا الظاهر لا يمنع من كون المعنى فناء وانعدام كل عمل لا يراد به وجه الله – سبحانه وتعالى – حيث "قيل: أراد بالوجه هاهنا التوجه إلى الله تعالى

---

١ – ينظر: التحرير والتنوير (١٠٣/٢١ وما بعدها).

٢ – سورة الرحمن: آية: ٢٧.

بالأعمال الصالحة"(١) فكل عمل لا يكون فيه العبد مخلصا لربه المنعم عليه فانٍ هالك لا ينتفع به وهذا المعنى قاله بعض المفسرين(٢)، وعلى هذا المعنى الإحساني جاء النظم القرآني في قوله تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" في عموم الفناء للعقلاء والذي جاء عن طريق التعبير بلفظ "من" وإن كان نفيا للأولى؛ لكون الفناء لا يتعلق بهم دون غيرهم؛ فنفي العقلاء يستلزم نفي غيرهم من الخلق، ولكن اختصاص العقلاء بالذكر يستلزم التنبيه لهم خاصة على العمل لوجه الله، وترك العمل لهذه الفانية؛ كما قال الرازي "(من) للعقلاء وكل ما على وجه الأرض مع الأرض فان، فما فائدة الاختصاص بالعقلاء؟ نقول: المنتفع بالتخويف هو العاقل فخصه تعالى بالذكر"(٣)، ومن ثمرات التخويف للعاقل عمله مخلصا لوجه الله.

فكان مدخل المعنى القرآني من العموم رأس بلاغة الترتيب في هذا الموضع،

---

١ – المفردات للراغب ص ٨٥٦.

٢ – حيث قال القرطبي: "أي ما ابتغى به ثوابه ورضاه" تفسير القرطبي لشمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة

الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م (١٣/ ٣٦٢)، وقال الماتريدي: "كانه يقول كل من عبد دونه أو خدم، أو عمل لا لوجه الله فكله فان، ذاهب، إلا ما عمل لوجه الله، فإنه باق، والله أعلم" تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) – تحقيق: د. مجدي باسلوم – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م (٩/ ٤٧٢) ، وقال البقاعي: "وكل عمل أريد به وجهه سبحانه وتعالى خالصا" نظم الدرر (١٩/ ١٦٦).

٣ – مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٥٥).

فبعد إضافة اللفظ الدال على العموم إلى اسم العقلاء رجع بالضمير على الأرض وذلك في قوله: " عَلَيْهَا " مع كون الفناء ليس مختصا بالأرض دون سواها من الدنيا، وذلك إشارة إلى أعمال المكلفين لكون هذه الأعمال تتصل ببقائهم على هذه الأرض، وبما تركوا عليها من آثار تخلد ذكراهم؛ فكل هذا في ميزان الله – سبحانه وتعالى – فانٍ، معدوم لا وزن له إلا ما كان خالصا لوجهه، ثم ينتهي العموم عند الغاية في قوله: " فَانٍ "؛ لكونه المستقر المستفاد من سوق هذا العموم ففناء الأرض ومن عليها يستلزم مقابلا يرجوه العقلاء والمؤمنون بأعمالهم، وإلا استووا مع غيرهم ممن كفر، أو ابتغى بعمله غير وجه الله ﷻ ، فكان هذا المقابل هو بقاء أعمالهم التي أخلصوا فيها لوجه الله، ببقاء المكافئ والمجازي بهذه الأعمال وهو المولى – سبحانه وتعالى – فبقاء هذه الأعمال التي أخلصت لوجهه الكريم ملازم لبقائه – سبحانه – وفي هذا إشعار بالطمأنينة التي تلحق عباد الله المخلصين بعد علمهم بفناء الدنيا ومن عليها.

فكان في معنى قوله: " يِ" – من ذكر الفناء للدنيا – من بلاغة الترتيب في العموم الذي يستلزم الإخلاص في كل عمل يعمله المؤمن يصرفه إلى المولى – سبحانه وتعالى – كذلك كان فيه كثير من الفوائد منها "الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير إلى الطاعة، ومنها: المنع من الوثوق بما يكون للمرء فلا يقول: إذا كان في نعمة إنها لن تذهب فيترك الرجوع إلى الله معتمدا على ماله وملكه، ومنها: الأمر بالصبر إن كان في ضر فلا يكفر بالله معتمدا على أن الأمر ذاهب والضر زائل، ومنها: ترك اتخاذ الغير معبودا والزجر على الاغترار بالقرب من الملوك، وترك التقرب إلى الله تعالى؛ فإن أمرهم إلى

الزوال قريب، فيبقى القريب منهم عن قريب في ندم عظيم لأنه إن مات قبلهم يلقى الله كالعبد الآبق، وإن مات الملك قبله فيبقى بين الخلق وكل أحد ينتقم منه ويتشفى فيه، ويستحي ممن كان يتكبر عليه وإن ماتا جميعا فلقاء الله عليه بعد التوفي في غاية الصعوبة، ومنها: حسن التوحيد وترك الشرك الظاهر والخفي جميعا لأن الفاني لا يصلح لأن يعبد"(١)، وهذه المعاني تندرج تحت معنى التوجه إلى الله ﷻ بالأعمال الصالحة إخلاصا وقربى.

وبعد هذا العموم تأتي الواو العاطفة(٢) في قوله: " وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ " التي تشرك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم، والحكم هنا يحتمل أن يكون عموم الفناء لكل من عليها، وهذا الحكم محال وغير مراد، أما إذا كان الحكم الاستئناف الحاصل لقوله: " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ " فالجملة الثانية المصدرة بالواو غير مقطوعة عن الجملة السابقة عليها، وإن كانت الواو تفيد المغايرة في ذلك لتغاير؛ حكم العموم في جملة المعطوف عليه مع حكم الخصوص في جملة المعطوف، فعموم الفناء حاصل لكل من على الأرض، وعلى المقابل اختص الله ﷻ بالانفراد بالبقاء؛ ولكن المراد بعد اختصاص الله ﷻ بالبقاء، هو بقاء ما كان خالصا لوجه الله ﷻ من الأعمال الصالحة، وذلك حالة فناء كل من على الدنيا، وعلى هذا يجوز كون الواو حالية – والله أعلم – من قوله: "ي" فالانفراد بالبقاء يكون حالة كون كل من عليها فان، وهذه الحال ليست قيدا في عموم الفناء، إذ بقاء الأعمال الصالحة حاصل على الدوام،

---

١ – مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٥٥).

٢ – ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٧/٩٤)، وإعراب القرآن للدعاس (٣/ ٢٩٢).

ولكن الاعتداد به والمكافئة علية حاصل وقت فناء كل من على الأرض من خلق أو متاع الدنيا، وعلى هذا جاءت جملة الحال لتقرر حكما ليس للجملة السابقة به قيد، والواو تؤذن بهذا التقرير المغاير لجملة الحال وذلك لكون "الجملة الحالية المصدرة بالواو في حكم المستقلة بإفادة معنى مقرر لها في ذاتها، بقطع النظر عن الجملة المتعلقة بها"(١).

كذلك من محاسن بلاغة الترتيب بناء جملة الحال على المضارعة في قوله: " وَيَبۡقَىٰ " لكون معنى الزمن حاصل به على الحالية والاستقبال، فالحالية حاصلة في زمن العمل الصالح، وزمن فناء كل من عليها، والاستقبال حاصل بالمكافئة عليه يوم القيامة، وعلى هذا جاء الوصف في قوله: " ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ " فمن عظمة ذي الجلال اقتداره على الإبقاء على أعمالهم الخالصة لوجهه مع بعثهم للمكافئة عليها، ومن عظمة ذي الإكرام حسن عطائه وجزيل ثوابه ونعمائه على هؤلاء المخلصين يوم القيامة، وهذا ما يشهد به السياق.

فكان من بلاغة الترتيب على المستوى الأفقي في سياق معنى إخلاص العمل في توجيهه إلى الله ﷻ ارتباط صفة الرحمة في بداية السورة الكريمة في قوله: "ٱلرَّحۡمَٰنُ " بختام سورة القمر في قوله: " فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ "(٢) إذ من صفات المليك المقتدر: عظمته المتمثلة في الرحمة والانعام على الإنسان بتعليمه القرآن والبيان، ثم مجازاة المجرم المكذب بإجرامه لعدم وفائه

---

١ – الواو ومواقعها في النظم القرآني للدكتور/ محمد الأمين الخضري – الناشر: مكتبة وهبة عابدين، القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م ص ٥٥٣

٢ – سورة القمر: آية: ٥٥.

بحق هذه النعمة، والإكرام لعباده المتقين بالجنات؛ وذلك زمان مقعد صدق؛ كذلك ارتباط صفات الجلال والإكرام في ختام سورة الرحمن بمفتتح سورة الواقعة في قوله: " إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ "(١)، كل ذلك يجعل تيقن العباد جميعا عن طريق المشاهدة بتحقق صفات الجلال والإكرام يوم القيامة بما أعده لعباده في هذا اليوم من ثواب وعقاب للأصناف الثلاثة في السورتين: سابقين يخافون مقام ربهم، أو غيرهم ممن هم دونهم من أصحاب اليمين، أو المجرمين المكذبين، وهنا تظهر المقابلة ظاهرة جلية في سياق هذا الموضع والتي ظهر فيه مقام الإنعام لمن أخلص – على وجه العموم – في توجيه عمله إلى الله ﷻ خاصة في يوم القيامة؛ حيث يرى ثمرة هذا الإخلاص، وكان من بلاغة الترتيب في بيان عاقبة هذا الإخلاص يوم القيامة ما جاء به الموضع العاشر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٢).

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة الخصوص:

حيث انتقل من الخطاب العام لكل عاقل إلى الأبرار الذين لا يبتغون بعملهم إلا وجه الله؛ فبنى المعنى في الآية الكريمة على القصر عن طريق "إنما" التي تأتي في المعاني المأنوسة؛ وذلك لسبق معرفة مآل كون العمل خالصا للمولى – سبحانه وتعالى – وذلك على المستوى الرأسي في المواضع السابقة من كونه يبقى بعد فناء الدنيا ومن عليها، وإما في سياق هذا

---

١ – سورة الواقعة: آية: ١.

٢ – سورة الإنسان: آية: ٩.

المعنى الذي تقرر فيه جزاء من يخلصون في قصدهم العمل إلى الله ﷻ حيث بدأ بصفات هؤلاء الذين يقصدون بأعمالهم المولى – سبحانه – دون شائبة شرك في هذا العمل، وذلك في قوله: إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا "(١) فسبق تسميتهم أبرارا كان تمهيدا لوصفهم بهذا الإخلاص في الآية الكريمة، وناسب إكرامهم بشرابهم من الكأس التي مزاجها كافورا: اختصاص فعلهم بالإطعام إخلاصا وقربى؛ فناسب طريق القصر بـ "إنما" لسبق تلك الصفات لهم من كونهم أبرارا، وكونهم عباد الله، ففي إضافة العباد إلى الله ﷻ يجعلهم لا يعملون عملا إلا كان خالصا لوجه – سبحانه – لا يشركون فيه غيره من قصدهم في هذا العمل.

ومن بلاغة الترتيب في علاقة الخصوص في هذا الموضع أيضا اختصاص الإطعام من الأعمال التي يبتغى بها وجه الله ﷻ إخلاصا وقربى – وذلك بالرغم من وجود أعمال أخرى لهم لا تقل خطرا عن الإطعام كما في قوله: " يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا "(٢)؛ وذلك لكون الأصناف الثلاثة المخصوصون بالإطعام في قوله: "وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا "(٣) لا يملكون المكافأة على هذا الإطعام، وذلك لبلوغهم مبلغا من الفقر والعوز، كذلك ما يبذله أصحاب الفضل المطعمون مما يحبونه ويكرهون فراقه وإنفاقه إما لحاجتهم إليه، وإما لكونه وقت إنفاقه مما يُضن بمثله؛ ولكن لعلمهم بمآل

---

١ – نفس السورة: آية: ٥.

٢ – سورة الإنسان: آية: ٧.

٣ – نفس السورة: آية: ٨.

هذا الإطعام خاصة إذا كان خالصا في توجيهه إلى ربهم ومولاهم، بذلوه وأعطوه لمن يحتاجه؛ كذلك هذا الإطعام وقع من الأصناف الثلاثة موقعا عظيما لفقدهم العائل والنصير، فقد تتغير حالتهم من العوز بهذا الإطعام؛ فيجد المسكين مكسبه، ويجد اليتيم عائله، ويجد الأسير ناصره، وذلك حالة كون الضمير في قوله: " عَلَىٰ حُبِّهِۦ " عائدا على الطعام؛ فكان "على حُبِّهِ أي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة إليه فوصفهم الله تعالى: بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام، ويواسون به أهل الحاجة، وذلك لأن أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام. لأن به قوام الأبدان"(١) كذلك كان من الخصوص: التمهيد والتوطئة عن طريق التصريح بلفظ الطعام – كما قال صاحب الكشاف – : " مع أنه معلوم من فعل يطعمون توطئة ليبني عليه الحال وهو على حبه فإنه لو قيل: ويطعمون مسكينا ويتيما وأسيرا لفات ما في قوله على حبه من معنى إيثار المحاويج على النفس، على أن ذكر الطعام بعد يطعمون يفيد تأكيدا مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة"(٢)، ومع هذا الاستحضار جعلهم كأنهم يباشرون الإطعام بأنفسهم حرصا منهم على حصول كل من المسكين، واليتيم، والأسير على ما يحتاجه من الطعام؛ والقصد في ذلك الإخلاص لوجه ﷻ وهذا ما مهد لاختيار "إنما" من طرق القصر في معنى الإخلاص.

---

١ – لباب التأويل في معاني التنزيل لأبي الحسن الخازن (ت: ٧٤١هـ) – تصحيح: محمد علي شاهين – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (٣٧٨/٤).

٢ – الكشاف (٣٨٤/٢٩).

أما في كون الضمير يعود على المولى – سبحانه – فيكون المعنى على حب الله(١)، وهذا من بلاغة الترتيب على المستوى الأفقي في هذا الموضع لكون هذا المعنى جاء تمهيدا لكون فعلهم بداية كان خالصا لوجه الله ﷻ، وذلك بدافع حبهم للمولى – سبحانه – وبوصول هذا الحب بما حققه من عمل لله بعد خلوصه من شائبة الشرك والرياء، أو طلب المكافأة =جاءت المعية من الله لهم في حكاية ما في صدورهم من قول لم يقولوه بألسنتهم، وإنما جاء حكاية من الله – سبحانه – وتعالى لما في قلوبهم بعد فعلهم، فكان في "ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئا"(٢)

كذلك من دلالات علاقة الخصوص التأكيد عن طريق كمال الاتصال بين جملة المعنى في قوله: " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ " وقوله في الجملة التالية بعدها: " لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا " والتي وقعت من السابقة موقع عطف البيان؛ وذلك لكون قصر الاطعام على كونه لوجه الله فيه نفي ضمنا عن أن يكون لغير الله فيه شيء؛ حيث "أكثر ما تستعمل إنما فى موضع يكون الغرض بها فيه التعريض بأمر، وهو مقتضى الكلام بعد ما"(٣)، فجاءت الجملة التالية للتصريح بهذا المنفي؛ فإذا نفى أن يكون المراد من الإطعام الجزاء والمكافأة،

---

١ – ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، (ت: نحو ٥٠٥هـ) – الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة: بدون (٢/ ١٢٨٧).

٢ – الكشاف (٦٦٨/٤).

٣ – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ) – تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي – الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م (١/ ٤١٢).

والرياء بالشكر والسمعة، زاد المعنى تأكيدا من كونه خالصا لوجه الله – سبحانه وتعالى.

كذلك من بلاغة الترتيب على المستوى الرأسي في السياق عن طريق المقابلة بين أهل الحق، وأهل الباطل فظاهر في الجمع والتقسيم الذي جاء في صدر الآيات في قوله: " إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا "(١) ثم ذكر أهل الباطل بما يخصهم من الجزاء في قوله: " إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا "(٢)، ثم الاختصاص بذكر شأن أهل الحق وبيان جزائهم، وفعلهم الذي استحقوا عليه هذا الجزاء من إخلاص في توجيه أعمالهم إلى الله – سبحانه وتعالى – وهذا الإخلاص هو سبب الرضا من المولى ﷻ ، بل إن الإخلاص هو مقصوده الأول من العمل بداية، وهذا ما اختصت به بلاغة التريب في الموضع الحادي عشر في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (٣).

بلاغة الترتيب عن طريق علاقة خصوص الخصوص:

وذلك كائن في هذا الموضع في قوله: " وَجْهِ رَبِّهِ " والذي يعود على الصديق – رضى الله عنه – والذي اختص بتوجيه عمله إلى المولى – سبحانه وتعالى – فاستحق من الأوصاف ما جاءت به السورة الكريمة؛ وهذا الاختصاص جعل له مقاما خاصا في الربوبية عن طريق هذه الإضافة في قوله: " رَبِّهِ "،

---

١ – سورة الإنسان: آية: ٣.

٢ – نفس السورة: آية: ٤.

٣ – سورة الليل: آية: ٢٠.

فاختصه المولى – سبحانه – بجانب من التربية انفرد به دون سواه؛ فبلغ بهذه التربية هذا المقام الخاص من العبودية، فكان مثالا وقدوة لأهل الحق في التقسيم الذي جاء في الموضع السابق على المستوى الرأسي؛ فإذا كان الجمع في سياق الموضع السابق في قوله: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " قد استغرق الناس جميعا عن طريق "أل" في قوله: "الإنسان" ثم مثل جانب الحق فيه: الأبرار في قوله: " إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا "ذ" فإن الجمع على المستوى الأفقي في سياق هذا الموضع والذي يمثله قوله: " إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ "(١) قد مثل فيه جانب الحق فرد واحد من عباد الله المؤمنين في قوله: "وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى "(٢)؛ وذلك لاختصاصه من الله بالتربية والرعاية بلغ بإيمانه إيمان أمة وحده(٣)، وهذا الاختصاص جاء عن طريق إضافة الرب إلى ضميره في قوله: "وَجْهِ رَبِّهِ "، وذلك في مقابل "الأشقى" لكونها نزلت "في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل: الأشقى، وجعل مختصا بالصلي، كأن النار لم تخلق إلا له؛ وقيل: الأتقى، وجعل مختصا

---

١ – سورة الليل: آية: ٤.

٢ – نفس السورة: آية: ١٧.

٣ – "عن هزيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب، لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم" الجامع الكبير لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ) – تحقيق: مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر – الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية – الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م (٧٣٩/١٤).

بالنجاة، كأن الجنة لم تخلق إلا له"(١)، وبهذا تظهر المقابلة في السياق بين أهل الباطل، وأهل الحق.

فجاءت "أل" في قوله: " پ " للعهد والمعهود هو الصديق – رضي الله عنه – كما قال الدكتور/ فهد الرومي: "الأتقى" للعهد وتفيد الخصوص، وليست "أل" الاستغراق التي تفيد العموم؛ لأن "أل" تفيد العموم إذا كانت موصولة، أو معرفة في جمع على الراجح، وهي هنا ليست موصولة؛ لأنها لا توصل بأفعل التفضيل، والأتقى ليس جمعًا بل مفرد، والعهد موجود، فدل ذلك على أنها للعهد، وليست للاستغراق"(٢) واختصاص الصديق بهذه الصفة نطقت بها الآيات التالية في قوله: "وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ "(٣)، وهذه المعاني خاصة بالصديق الذي حقق المقام الأعلى في التقوى فانفرد بهذه الصفة كما قال صاحب التحرير والتنوير: قوله "" وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ " مرادا به بعض من شمله عموم الذي يؤتي ماله يتزكى، وهذا شبيه بذكر بعض أفراد العام، وهو لا يخصص للعموم، ولكن هذه لما كانت حالة غير كثيرة في أسباب إيتاء المال تعين أن المراد بها حالة خاصة معروفة بخلاف نحو قوله: " وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ "(٤) ، وقوله: "إِنَّمَا

---

١ – الكشاف (٤/ ٧٦٤).

٢ – دراسات في علوم القرآن الكريم المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي – الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف – الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ص ٤٣١.

٣ – سورة الليل: الآيات: ١٩: ٢١.

٤ – سورة البقرة: آية: ١٧٧.

نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا "(١)؛ فظهر بذلك جانب خصوص الخصوص في هذا الموضع لاختصاصه بمثلٍ يُقتدى به من الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وخصوص الخصوص إذا كان جاء من الإضافة في قوله: " رَبِّهِ ذ" فهذا الاختصاص جزء من البنية التركيبية الكبرى في أسلوب القصر في قوله: " إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ "؛ فهو اختصاص من اختصاص: اختصاص الصديق بمقام من التربية مخصوص من المولى – سبحانه وتعالى – واختصاص من الإخلاص في العمل بمنزلة ينفرد بها وهي: أنه يسعى بعمله من نفقة وعطاء إلى الرضا والإخلاص، وفرق بين من يعمل بإخلاص في توجيه عمله، وبين من يعمل ليحقق الإخلاص الكامل لله جل جلاله ؛ فكان الصديق أرفع المنزلتين؛ وذلك المعنى حاصل في المستثنى من جملة المعنى في الموضع في قوله: " "إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ" فعلماء القرآن قالوا إن الاستثناء هنا منقطع(٢)؛ حيث الابتغاء ليس بعضا من النعمة، فإذا كان الابتغاء: "قد خص بالاجتهاد في

---

١ – التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩١).

٢ – إعراب القرآن للنحاس (ت: ٣٣٨هـ) – وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم – الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ(١٥١/٥)، وإعراب القرآن للأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ) – قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد – الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض) – الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ص ٥٣٧، و التبيان في إعراب القرآن للعكبري (ت : ٦١٦هـ) – تحقيق : علي محمد البجاوي – الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه (١٢٩١/٢)، والجدول في إعراب القرآن الكريم (٣٤٩/٣٠).

الطلب"(١) وهو ليس بعضا من تلك النعمة المرجوة من العمل الصالح؛ فحصل معنى كونه اختصاص بمنزلة من الإخلاص انفرد بها، وهو كون بغيته الإخلاص ذاته، فكان القصر عن طريق الاستثناء ردا على من أنكر عليه بذل ماله في نصرة ضعفاء الناس فهلا جُلدا يمنعونه(٢)، فكانت المكافأة من الله ﷻ مقسما بذلك في قوله: " قٓ ۚ " وحذف المفعول من الفعل " يرضى" للدلالة على العموم في الرضا، فكل ما أعده الله – سبحانه وتعالى – له يحقق له الرضا؛ كذلك حصل له الرضا المطلق لكونه حقق المرتبة العليا من التقوى؛ فكان المثل والقدوة لجماعة المؤمنين في بداية دعوة النبي ﷺ معينا له وناصرا؛ ولذا اختصه الله ﷻ بالمكافأة والجزاء(٣)؛ فختم المولى – سبحانه وتعالى – هذا المواضع بما يستوجب كمال الإنعام والرضى، والهدى والبشرى لعباده المخلصين.

---

١ – المفردات ١٣٧.

٢ – قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله قال: قال أبو قحافة لأبي بكر يا بني إني أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك، ويقومون دونك؟ قال فقال أبو بكر رضي الله عنه يا أبت إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل، قال فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال له أبوه "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى" إلى قوله تعالى: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى" الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي (ت: ٥٨١هـ) – تحقيق: عمر عبد السلام السلامي – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م (٣/ ١١٥).

٣ – أخرج الترمذي من أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– قال: « ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ... " المسند الجامع (١٨/١٧٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتربو الحسنات وتزداد..؛ وبعد فقد أسفر هذا البحث عن بعض النتائج أذكر منها:

ارتباط المتشابه من آي القرآن الكريم على حسب ترتيبه الرأسي والأفقي بعلاقات معنوية فيما بينها تكاملا لوجوه إعجاز الكتاب العزيز؛ فاختلفت العلاقات باختلاف هذا الارتباط بين تلك الآيات الكريمة.

كانت لعلاقات الترتيب في الآيات موضع الدراسة مدخل في تخريج معاني لفظ: "الوجه" في هذه الآيات بما يتناسب مع النظم القرآني.

أفاد البحث أن لفظ "الوجه" بإضافته إلى الله ﷻ والذي فسره بعض العلماء بكونه صفة للمولى – سبحانه – الأولى فيه حمله على قصد الله ﷻ بالأعمال الصالحة.

مخالفة أصحاب المذاهب العقدية مذاهبهم عند التعرض لما عدوه من آيات الصفات؛ اعتمادا على المعاني المؤمة من السياق، واحتكاما إلى لسان العرب في الإبانة.

فهرس مصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم.
- أسباب نزول القرآن للواحدي (ت: ٤٦٨هـ) – تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان – الناشر: دار الإصلاح – الدمام – الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- إعراب القرآن للأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ) – قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة/ فائزة بنت عمر المؤيد – الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض) – الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- إعراب القرآن الكريم للدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم – الناشر: دار المنير، ودار الفارابي، دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ .
- إعراب القرآن للنحاس (ت: ٣٣٨هـ) – وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم /الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) – تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ .
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) – تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي – الناشر: دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثالثة.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) – تحقيق: صدقي محمد جميل – الناشر: دار الفكر – بيروت – الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
- البرهان في علوم القرآن للزركشي – تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم – الناشر: دار التراث، القاهرة – الطبعة: بدون.
- تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) – تحقيق: د. مجدي باسلوم – الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- التبيان في إعراب القرآن للعكبري (ت : ٦١٦هـ) – تحقيق : علي محمد البجاوي – الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) – الناشر: الدار التونسية للنشر -

تونس: ١٩٨٤ هـ .

– تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (ت: ٦٣٨هـ) – تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان – الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط – الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

– تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – تحقيق: سامي بن محمد سلامة – الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

– التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) – الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة: بدون .

– تفسير القرطبي لشمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

– تفسير الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ) – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

– جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (ت : ٦٠٦هـ) – تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة/ تحقيق: بشير عيون – الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان – الطبعة : الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢م .

– جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

– الجامع الكبير لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ) – تحقيق: مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر – الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية – الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

– الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ) – الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت – الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

– الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لأبي نصر محمد بن فتوح الأزدي (ت: ٤٨٨هـ) – تحقيق: د/علي حسين البواب – الناشر: دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

– الجملة العربية تأليفها وأقسامها للدكتور/ فاضل صالح السمرائي – الناشر: دار الفكر: عمان، الأردن – الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

– حاشية الطيبي على الكشاف لشرف الدين الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ) – مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج – القسم الدراسي: د. جميل بني عطا – المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء – الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم .

– دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة (ت: ١٤٠٤ هـ) – تصدير: محمود محمد شاكر – الناشر: دار الحديث، القاهرة – الطبعة: بدون .

– دراسات في علوم القرآن الكريم المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي – الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف – الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

– دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) – تحقيق: محمود محمد شاكر – الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

– الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي (ت: ٥٨١هـ) – تحقيق: عمر عبد السلام السلامي – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

– سلسلة الآثار الصحيحة لأبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي – راجعه: عبد الله بن صالح العبيلان – الناشر: دار الفاروق – الطبعة: الأولى (جـ ١: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، جـ ٢: ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م).

– شرح العقيدة الواسطية للهراس (ت: ١٣٩٥هـ) – ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف – الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر – الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ .

– الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة لمحمد عياش الكبيسي – الناشر: المكتب

المصري الحديث، القاهرة – الطبعة: الأولى: بدون .

– عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ) – تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي – الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

– غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، (ت: نحو ٥٠٥هـ) – الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة: بدون .

– فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني (ت: ١٣٠٧هـ) – تحقيق: خادم العلم/ عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري – الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

– فتح القدير للشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) – الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

– لباب التأويل في معاني التنزيل لأبي الحسن الخازن (ت: ٧٤١هـ) – تصحيح: محمد علي شاهين – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ .

– لطائف الإشارات للقشيري (ت: ٤٦٥هـ) – تحقيق: إبراهيم البسيوني – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – الطبعة: الثالثة: بدون .

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) – تحقيق: حسام الدين القدسي – الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

– مجموع الفتاوى لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

– المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني – الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) – تحقيق:

عبدالسلام عبد الشافي محمد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ .

– المسند الجامع – تحقيق: محمود محمد خليل – الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت – الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

– مصابيح السنة للبغوي (ت: ٥١٦هـ) – تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي – الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

– معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠هـ.

– معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت: ٣١١هـ) – تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي – الناشر: عالم الكتب، بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

– مفاتيح الغيب للفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) – تحقيق: صفوان عدنان الداودي – الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ .

– المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد بن عبدالرحمن المغراوي – الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، دار القرآن جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة .

– مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) – تحقيق: نعيم زرزور – الناشر: المكتبة العصرية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للغرناطي (ت: ٧٠٨هـ) – تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: بدون.

– الناسخ والمنسوخ للنحاس (ت: ٣٣٨هـ) – تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد – الناشر:

مكتبة الفلاح – الكويت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ص ٧٦ وما بعدها، أحكام القرآن للجصاص (ت: ٣٧٠هـ) – تحقيق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥ هـ .

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت: ٨٨٥هـ) – الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: بدون .

– الواو ومواقعها في النظم القرآني للدكتور/ محمد الأمين الخضري – الناشر: مكتبة وهبة عابدين، القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م .